أوهام
شعراء العرب في المعاني



أحمد تيمور باشا

أوهام شعراء العرب في المعاني

تأليف
أحمد تيمور باشا



أوهام شعراء العرب في المعاني

أحمد تيمور باشا

رقم إيداع ١٤٣٥٤ / ٢٠١٤
تدمك: ٣ ٠٠٧ ٧٦٨ ٩٧٧ ٩٧٨

مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
جميع الحقوق محفوظة للناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة
المشهرة برقم ٨٨٦٢ بتاريخ ٢٦ / ٨ / ٢٠١٢

إن مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه
٥٤ عمارات الفتح، حي السفارات، مدينة نصر ١١٤٧١، القاهرة
جمهورية مصر العربية
تليفون: ٢٢٧٠٦٣٥٢ ٢٠٢ + **فاكس:** ٣٥٣٦٥٨٥٣ ٢٠٢ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

تصميم الغلاف: وفاء سعيد.

المحتويات

الإهداء

إلى من أفاض على التعليم بنور هديه، وأحيا التراث العلمي المجيد بثاقب فكره، وحقق للأدباء والمتأدبين تيسير منهله، وكان نصيرًا للعلم والعلماء.

حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك: وزير المعارف.

اللجنة



العلامة المحقق المرحوم أحمد تيمور باشا.

افتتاحية

بقلم خليل ثابت

ما كان أشدَّ عناية المغفور له العلامة المحقق «أحمد تيمور باشا» بدراساته وبحوثه في كل علم، وفي كل فن من فنون الأدب والفلسفة والاجتماع، وما قاساه على نفسه — رحمه الله — حين قضى حياته يخدم العلم والمتعلمين، ويصيب من تحقيق رغباته نصيبًا كبيرًا، ويظفر بقسط عظيم في إتحاف أبناء العربية بتلك المواكب الزاخرة الفخمة من التأليف والتعليقات والتحقيقات، وسواها من الآثار الخالدة التي تزيح الستار عنها واحدة بعد أخرى لجنة نشر المؤلفات التيمورية المسنود إليَّ رياستها كلما اجتمعت لها الفرصة وتهيأت لها الأسباب، وهي كلها تنم عن كفايته وبحوثه فيما تناوله مما أصبحت تزخر به مكتبته العلمية من مخطوطات وغير مخطوطات، استخرجها من جواهر الحقائق وعيون المعلومات، وأفنى فيها عمره ليتمتع بها الناطقون بالضاد، ويفوز هو من ذلك بأن يعليَ الشرق العربي قدره، ويرفع في الخافقين ذكره، وهو في الحقيقة وواقع الأمر لم يكن يبغي من صنيعه هذا جزاء ولا شكورًا، بل كان يرضى بالغبطة وراحة الضمير، حين كان يجلو غامضًا، أو يذيع تحقيقًا من تحقيقاته المتعددة الممتعة التي فاضت وعمت، وبلغت ما لم تبلغه سواها من آثار الباحثين والعلماء والمؤلفين؛ لأنها كلها قد استقامت له في جلوة الفكر الراجح، والمعرفة النيِّرة، والروية الصافية، والمزاج السليم.

ومن تحصيل الحاصل أن نقول إن مؤلفات هذا الفقيد العظيم التي تزدان بها المكتبات العربية قد لقيت ما تستحقه من الذيوع والإقبال، وهو عين ما تنشده اللجنة من السعي إلى تعميم الانتفاع بها في سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة.

ومن أجل ذلك نقول إنه لن يكون غريبًا أن يجد كتاب «أوهام شعراء العرب في المعاني» الذي تُقدمه اللجنة اليوم بين يدي القارئ ما وجدته المصنفات السابقة من مؤلفات فقيدنا العلامة «أحمد تيمور باشا»، لا لأنه من الذخائر العلمية النفيسة والمراجع الوافية الدقيقة، بل لأنه بحث خطير الشأن يَرُدُّ به بعض ما انتاب أعضاء المملكة اللسانية من أغلاط لفظية وغير لفظية إلى أصولها وصوابها، تحقيقًا للغرض السامي الذي جند نفسه له، وهو خدمة العلم وتحقيق وجوه الإصلاح، كما بدت له في ثنايا دراساته، أو عثر عليها في خلال تحقيقاته؛ إحياءً لما اندثر من كنوز الأدب، وتقديرًا منه لآثار العرب.

سائلين الله أن يجد فيه طلاب العلم تيسيرًا لدراستهم، وتعميمًا لفائدتهم ونفعهم.

كلمة اللجنة

حرصت لجنة نشر المؤلفات التيمورية على الدأب والسعي حثيثًا؛ لكي تخرج لقراء العربية بين الحين والحين ألوانًا شتى من الكنوز الدفينة للتراث العلمي المجيد في آفاق الحياة الفنية والأدبية والاجتماعية التي وسعتها مدارك المغفور له العلامة المحقق «أحمد تيمور باشا»، وقويت عليها عقله الناضج، ونظره الثاقب، وتفكيره السليم، ودأبه على البحث والدرس، فخلَّد له ذلك ذكرًا مسموعًا يُدَوِّي في المجامع العلمية والهيئات الثقافية التي عرفت له ولأضرابه من العلماء الجهابذة والكُتاب النابهين أنهم قرأوا وأنتجوا، وأننا نتغذى بعصارة عقولهم، ونتاج بحوثهم القيمة، وأنهم الشعلة الوضاءة التي أنارت للناس سبيل الجد والعمل لتذوق مؤلفاتهم، واستيعابها وهضمها من غير ما ملل ولا كلل ولا سأم؛ لأنهم فصَّلوا بحوثهم تفصيلًا، وجعلوها شاملة جامعة للثقافات التي تسيطر على العقول، وصورًا بارزة في الحياة الفكرية والأدبية والاجتماعية.

وإن اللجنة وهي بسبيل إخراج كتاب فقيدها العظيم «أوهام شعراء العرب في المعاني» لا تنسى أن تُنوِّه بهذا العصر الحاضر الزاهر عصر «الفاروق العظيم»، أو عصر العلم والنور الذي يحمل لواءه في مصر اليوم ويُذْكِي شُعْلَتَه العالم العالمي الكبير صاحب المعالي، الدكتور طه حسين.

الأسرة التيمورية ومكانتها في العلم والأدب والمعرفة[1]

بقلم طه حسين

حضرة صاحب المعالي الدكتور طه حسين بك، وزير المعارف العمومية، حجة في الأدب، وعلم من أعلام الفكر، وإمام من أئمة النهضة الحديثة، وركن من أركان التقدم الثقافي، بل إنه العبقرية الفذَّة التي لها في المآثر والآثار التي يخطئ الإنسان العد إن أحصاها.

وهذه كلمة مما جادت به قريحته الوقادة في تاريخ الأسرة التيمورية، آثرنا تسجيلها فيما يلي، للتمتع بأثر من آثار هذا الوزير الخطير، وما امتاز به من طابع خاص لن يُعرف به سواه.

إني لسعيد كل السعادة بأن أنوب عن مجمعنا في استقبالك، بعد أن أظهر أعضاؤه حرصهم على أن تكون بينهم، وعلى أن تشاركهم فيما يبذلون من جهد لصيانة اللغة العربية، والمحافظة على سلامتها، وتمكينها من أن تكون مُنتجة ملائمة لمقتضيات الحياة على اختلاف عصورها.

[1] ألقاها في حفلة استقبال محمود تيمور بك عضو بالمجمع الملكي للغة العربية.



صورة تذكارية من أيام الصبا للعلامة المحقق المغفور له أحمد تيمور باشا وأنجاله إسماعيل ومحمد ومحمود.

فأنت تعلم أن المجمع ليس نظامًا مقصورًا على عصر دون عصر، وإنما هو نظام خالد ما خلدت «مصر»، وكل واحد من أعضائه إنما استعار من خلود هذا النظام لقبه الذي عُرف به المجمعيون في «فرنسا»، وهو لقب «الخالد» فنحن إنما نخلد بخلود هذا النظام الذي أنشئ ليبقى ما بقيت «مصر»، وما بقيت اللغة العربية.

وأنت منذ اليوم قد أقبلت، ولْتشاركنا في هذا الجهد، ولتشاركنا في تمكين هذا النظام من الإنتاج، وقد أنابني المَجْمَع، ووكل إليَّ الرئيس أن أهدي إليك لقب المجمعيين، فتصبح خالدًا من الخالدين.

وصدقني أيها الزميل العزيز أنك لم تكن في حاجة إلى هذا الخلود المستعار؛ فقد اتخذت لنفسك من جهدك وخصب ذهنك ونضج عقلك وذكاء قلبك وإنتاجك الرائع المبدع خلودًا أبقى وأشمل وأخص من هذا الخلود الذي لا نكسبه أنفسنا، وإنما نستعيره من عمل يبقى هو ونزول نحن.

فأما أنت فإن الخلود الذي اكتسبته لنفسك يبقى مهما تكن الظروف ومهما تكن الأحوال، سواء اتصلت بالمجمع أم لم تتصل به، وأنت تعلم أن في المجمعيين شيئًا غير

قليل من الفضول، وأن فيهم كذلك شيئًا غير قليل من هذه الخصلة التي يحبها الأقلون ويبغضها الأكثرون، وهي خصلة البحث والاستقصاء، فليس كل الناس يحب البحث، وليس كل الناس يستطرف الاستقصاء، وإنما هي خصلة موقوفة على قوم شذوا في الحياة الاجتماعية، كرَّسوا أنفسهم للبحث والدرس، ولاستكشاف الحقيقة والتماسها حيث تكون، وهم من أجل ذلك يكلِّفون أنفسهم من الجهد ما يكلفونها، ويتعرضون لكثير من العبث، ولكثير من السخرية أحيانًا، وقد امتُحِنْتَ لكي تكون بين هؤلاء الناس، فاحتمِل هذا الامتحان صابرًا، ولك أجر المعذَّبين الممتَحَنين.

وأول ما يفرض عليَّ هذا الموقف حين أستقبلك، هو أن أخرج عن مألوف أوضاعنا الاجتماعية، فأتحدث إليك بما تعلم وبما لا تعلم من أمرك، وأُظْهِرك على أشياء لعلك كنت تعرفها، وعلى أشياء أخرى لعلك لم تلتفت إليها ولم تقف عندها، وأظن أنك لا تعرف أنك قد نشأت في أسرة كريمة كل الكرم، عزيزة كل العِزَّة، لها سابقة في المجد، ولها سابقة بنوع خاص في حب الأدب والعلم والبحث والإنتاج، والتفوق في هذه كلها.

أَقْبَلَ جدكم مع «محمد علي» الكبير، وشارك فيما شارك فيه معاصرو ذلك البطل العظيم من احتمال الخطوب ومواجهة المحن والنفوذ من المشكلات، فكان جنديًّا، وكان قائدًا في الجيش، وكان مستشارًا للأمير، وكان مديرًا لشئون بعض الأقاليم، وأَسَّسَ لنفسه ولأسرته من بعده هذا المجد الذي توارثه عنه أبناؤه، والذي وفوا في توارثه والقيام عليه.

ولأمرٍ ما أحبَّت العلمَ والأدبَ أسرتُك منذ استقرت في مصر، فجدُّك «إسماعيل تيمور» كان محبًّا للعلم، ميالًا أشد الميل إلى العُزلة، حريصًا كل الحرص على أن يقرأ ويبحث ويستقصي، مُؤْثِرًا صحبة الكتاب على صحبة الكبراء والأمراء، لا يكاد يلي منصب الحكم إلا حين يُستَكرَهُ عليه استكراهًا، ولا يكاد يبلغ هذا المنصب بعد الجهد، حتى يحتال ليخرج منه ويعود إلى كتبه.

ووالدك العظيم «أحمد تيمور» ليس في حاجة إلى أن نذكر مكانه في الأدب، ومكانه في العلم وفي المعرفة باللغة العربية وتاريخها وتطوُّرها، وما كتب حول تاريخها، وحول تطورها منذ أقدم العصور.

ولعلك تعلم أو لا تعلم أن المكتبة التي ورثها أبوك العظيم عن والده، ثم نماها وقوَّاها وزاد فيها، هي ثالثة مكتبات ثلاث: دار الكتب المصرية، والمكتبة الأزهرية، ومكتبة



الكاتبة القديرة والشاعرة المُجيدة الذائعة الصيت المغفور لها السيدة عائشة التيمورية.

«تيمور»، وهي عدا ذلك قد تمتاز بمجموعة من المخطوطات القيمة ليست في هذه المكتبة أو في تلك.

كان إذن محبًّا للكتاب من حيث هو كتاب، ثم كان لا يكتفي بهذا الحب الظاهر الرفيق، وإنما يحب ويريد أن يزدرد ما يحبه ازدرادًا، فكان لا تصل يده إلى كتاب إلا قرأه وأعاد قراءته، واستخلص منه ثمرته وخلاصته.

ورث كثيرًا من ذلك عن أبيه، وأضاف إلى ما ورث بجهده وكَدِّه ومواهبه الخاصة شيئًا كثيرًا.

وعمتك سبقت إلى مجد أدبي خالد، فليس بين المثقفين في الشرق العربي، بل في الشرق كله، مَن يجهل «عائشة التيمورية»، ومن يجهل أثرها في الشعر العربي والتركي والفارسي.

فأنت إذن سليل هذه الأسرة التي نشأت في العلم والأدب والمجد جميعًا، أَلِفْتَ هذه كلها وأَلِفَتك، فليست غريبة عليك ولست غريبًا عنها.

والغريب في هذا كله أنَّ هذا التراث الكريم لم يقتصر نقله على فرد من أفراد الأسرة دون سائر أفرادها، لم يستبد به أبوك حين ورثه عن أبيه، وإنما شاركته فيه أخته «عائشة» مشاركة ممتازة.

ولم تستبدَّ أنت حين ورثته عن أبيك، وإنما شاركك فيه أخواك «إسماعيل تيمور»، و«محمد تيمور»، وشاركك «محمد تيمور» مشاركة لا أقول ممتازة، وإنما أقول رائعة، ولعله سبقك إلى هذه المشاركة، كنتما شريكين في حب الأدب والبحث والدرس والإنتاج، ولكنه سبقك إلى التفوق والامتياز، وعسى أن يكون قد وجَّهك التوجيه الذي أتاح لك ما بلغت الآن من نضج وتفوق ونبوغ.

والجيل المصري الحديث لا يستطيع أن ينسى فضل أخيك على التمثيل، ممثِّلًا أولًا، وكاتبًا وممثلًا بعد ذلك، ثم كاتبًا يكرس من جهده للإنتاج للفن آخر الأمر، يكتب في اللغة العربية الفصحى، ويكتب في اللغة العربية العامِّيَّة، ولا يكاد يكتب، ولا يكاد الناس يسمعون بعض ما يكتب حتى يصل إلى قلوبهم كما يصل الفاتح إلى المدينة التي يقهرها فيستأثر بها الاستئثار كله.

وأكاد أخشى عليك من كل هذا المجد، وأكاد أشفق عليك من كل هذا التراث الضخم الثقيل، فقد يخيَّل إلى الذين لا يستقصون ولا يتعمَّقون الأشياء — كما يفعل المجمعيون — أنك في هذا إنما حفظت ما أحفظك، أو ما أورثك آباؤك وأخوك، ولم تكد تجدد شيئًا، فمن الجائز ألا يُستغرب أن تكون نابغة ممتازًا؛ فقد أزهرْتَ ونشأْتَ وشببت في أسرة نابغة ممتازة.

ولكن نحن الذين نؤثِر التعمق والبحث لا نكاد ننظر إلى شيء يسير من آثارك الكثيرة، حتى نستيقن أنك قد تفوَّقت على هذه الأسرة الممتازة كلها، أخذت خير ما عندها، وأضفت إليها ما لم تستطع هي أن تصل إليه.

شارك أبوك في العلم وفي جمع الآثار العلمية القيمة وقراءتها وتذوقها، وهذه كلها من الخصال الكريمة الرائعة، ولكنك توافقني على أن الذين يشاركون أباك في هذا كثيرون في شرق الأرض وغربها.

وسبق أخوك إلى الإجادة في التمثيل، ولكنك توافقني على أنَّ الذين أجادوا في التمثيل ليسوا قليلين.

وسبقْتَ أنت إلى شيء لا أعرف أن أحدًا شاركك فيه في الشرق العربي كله إلى الآن، وإذا ذهب أحد مذهبك أو جاء أحد فيما بعدُ بخيرٍ مما جئت به، فلن يستطيع أن يتفوق



المغفور له إسماعيل تيمور باشا.

عليك؛ لأنك فتحت له الباب، ومهدت له الطريق، ويسرت له السعي، وأتحت له أن يُنتج وأن يمتاز وأن يتفوق.

هذا الذي تفوَّقت فيه وامتزت وسجلت به لنفسك خلودًا في تاريخ الأدب العربي لا سبيل إلى أن يُمْحَى، هو القصص على مذهبه الحديث في العالم الغربي.

ولست أدري ما الذي كان بينك وبين القصص من هذا الحب الغريب؛ فقد كنت في صباك أولًا مشغوفًا بقراءته، حريصًا على أن تمضي بياض يومك وسواد ليلك في «ألف ليلة وليلة»، تكاد تؤثر ذلك على الدرس المنظم الرسمي، ولم تكد تتعلم اللغة الأجنبية حتى التمست القصص في هذه اللغة التي تعلمتها.

ثم لم تكد تبلغ من الثقافة حظًّا يتيح لك التوسع في القراءة حتى أسرعت إلى الآداب القصصية في اللغات الأجنبية على اختلافها، فقرأت القصص الفرنسي، وقرأت القصص الروسي، وقرأت من القصص الألماني والإنجليزي غير قليل، عشت القصص وكاد القَصَص أن يعيش لك في «مصر»، وامتزجت بالقصص حتى كدتَ تصبح قصة!

ومن الناس من يحب القصص ويعكف عليها وينفق عمره فيها، يريد أن يأخذ منها ما يستطيع دون أن يقدر على أن يردَّ بعض ما أخذ، أو يعطي بعض ما استعار.

ولكنك لم تكن من هؤلاء، ولم تكن تحب القصص لتأخذ فحسب، وإنما كنت تحب القصص لتأخذ ثم تقلد، ثم تلتمس شخصيتك، ثم تظفر بها، ثم تنتج فتملأ الشرق والغرب أدبًا وحكمةً وفقهًا لشئون الحياة، كأروع ما يكون الأدب والحكمة والفقه في شئون الحياة.

فأدبك ليس مقصورًا على مصر، ولا هو مقصور على البلاد العربية وحدها، ولكنه تجاوز حدود «مصر»، ثم ضاقت به حدود البلاد العربية، فعبر البحر إلى أقطار مختلفة من «أوروبا».



القصصي المشهور والأديب الكبير المغفور له الأستاذ محمد تيمور بك.

ترجمتَ إلى الفرنسية والإنجليزية، وأحسب أنك ترجمت إلى اللغة الروسية أيضًا.

فإذا قيل إنك أديب مصري ففي ذلك غض منك، وإذا قيل إنك أديب عربي ففي ذلك تقصير في ذاتك، وإنك توفَّى حقك إذا قيل إنك أديب عالميٌّ بأدق معاني الكلمة وأوسعها وأعمقها.

إنك حين قصدت إلى القصص أحببتَ أول ما أحببت هذا القصص العربي الشعبي اليسير الذي يتحدث عن القلوب وعن الطبائع وعن الأذواق المصفاة في غير مشقة ولا تكلُّف

ولا عناء، هذا الأدب اليسير الذي تزدريه الخاصة المثقفة في البلاد العربية، وتهوي إليه قلوب العامة، فتُكَوِّنَ منه أذواقها، وتُكَوِّن منه شعورها.

وقد أحببت هذا الأدب كما تحبه العامة، أخلصت له وأخلص لك، وكدت تكون عاميًّا في حبك له وكلفك به.

وليس هذا غريبًا، فإنك حين حاولت أن تكتب القصص وتصبح منتجًا بعد أن كنت مستهلكًا كان التعبير على هذا المنهج العامي اليسير البسيط هو أوَّل ما قصدت إليه ونجحت فيه.

ففي أطوار حياتك الأدبية ما يعطي منك صورة القاصِّ العربي الذي يصل إلى أعماق الحياة، ويفقه كُنهها، ويستخلص صفوتها، يصوغ ذلك صياغة حسنة، فإذا كتب قرأه العامي؛ لأنه يلائم ذوقه وقلبه وطبعه، وقرأه الرجل الخاص؛ لأن فيه من الابتكار في المعاني ما لا يجده في كثير جدًّا من الأدب الخاص الممتاز.

ويظهر أنك حاولت أن تحتفظ بهذه النزعة الشعبية في التعبير، فكان بينك وبين اللغة العربية الفصحى صراع شديد، كانت تريد أن تغلبك على أمرك، وكنت تريد أن تقاومها، وكانت اللغة العربية الفصحى تنسلُّ إلى أسلوبك وألفاظك الخاصة بين حين وحين، وإذا أَدَبُك الشعبي يأخذ قليلًا قليلًا مسحة من روعة اللغة العربية الفصحى.

ولعلك تذكر، وإني أُذَكِّرك إن كنت قد نسيت، حديثًا ألقيته في بعض مؤتمرات المستشرقين، وكدت تخلص فيه للدفاع للغة العامية، وضقت أنا في ذلك اليوم بهذا الدفاع، لم تكن تُقَدِّر أنك ستكون مجمعيًّا في يوم من الأيام، ولم تكن تُقَدِّر أن اللغة العربية أقوى منك، كما كانت أقوى من كثير جدًّا لا من الأفراد بل من الشعوب، ولم تكن تُقَدِّر أنك ستضطر في يوم من الأيام أن تكون من حماة هذه اللغة العربية الفصحى التي كنت تؤثِر عليها اللغة العامية في بعض أوقاتك.

ثم نرى تغلُّب هذه اللغة العربية عليك يزيد شيئًا فشيئًا، وإذا هي تلتهمك التهامًا، وإذا هي تصوغك على ما تريد هي، لا على ما كنت تريد أنت، وإذا أنت لا تستطيع أن تكرهها إلا على شيء واحد، هو خير ما نحب لها، وهو خير ما تحب لنفسها، تُكْرِهُها على أن تطيق من المعاني والخواطر والفنون الرائعة الأدبية الجديدة ما لم تألفه من قبل، وإذا أنت من المرِّنين لها أحسن تمرين، تُكَلِّفُها أن تصوغ ما لم تتعود أن تصوغ، وتؤدي بها معاني لم تكن تُكلَّف تأديتها من قبل.

قرأتَ «حديث عيسى بن هشام» حين كنت صبيًّا فلم تتأثر به، وأكبر الظن أنك لم تتأثر به؛ لأنه كتب على منهج «الهمذاني»، وأنك كنت تؤثِر عليه قصص «ألف ليلة وليلة».



الكاتب المتفنن والقصصي العصري والأديب الناشر الأستاذ محمود تيمور بك.

وحين استأثَرَتْ بك اللغة العربية لم تفرض عليك أسلوب «عيسى بن هشام» ولم تفرض عليك أسلوب «الجاحظ» ولم تفرض عليك أسلوب القدماء، وإنما كانت بينك وبينها هدنة اكتفت منك بأن تخضع لها، وقبلتْ منك أن تفرض عليها أسلوبك الخاص.

لم تقبل ذلك منك عن ذلة أو ضعف أو استكانة، وإنما قبلت ذلك منك؛ لأنها واسعة الصدر، سمحة النفس، تؤثِر أن تأخذ أكثر مما تعطي، وتتقبل ما يُهدَى إليها ليضاعف من ثروتها ويمنحها الغنى والسعة، وأنت قد أكسبتها بأسلوبك الجديد سعة وقوة وقدرة ومرونة لم تكن لها من قبلُ.

وإني أقرأ آثارك التي كتبتها باللغة العامية، فأرتاح إليها أشد الارتياح، على رغم نفوري من اللغة العامية حين تُكْتَب، وحبي لها حين يتكلمها الناس.

ثم أقرأ الآثار التي تكتبها باللغة العربية الفصحى فأُفْتَن بها الفتنة كلها، تفتنني معانيها التي كانت تفتنني حين كانت تلبس الثوب العامي المهلهل، ويفتنني لفظها لسحره وروعته في سهولة ويسر، وفي غير تكلُّف ولا عنف، وفي غير بحث عن ألفاظ غريبة، ولا محاولة لتنميقها وترشيقها.

وأمرك غريب أيها الزميل العزيز، كنت تكتب العامية فكانت تأتي كأنما يتفجر بها ينبوع.

ثم أخذت تكتب العربية الفصحى فكانت تأتي كأنما يتدفق بها نهر ضخم، فأنت رائع حين تكتب في العامية، وأنت رائع حين تكتب في اللغة العربية.

والحمد لله على أن اللغة العربية قد استأثرت بك الاستئثار كله، فقد كنت عدوًّا لها عنيفًا، تُحَبِّبُ العامية حين كنا نريد أن نُبَغِّضها إلى الناس، فانتصرَتِ اللغة العربية عليك انتصارًا رائعًا لا شك فيه.

وأنت كاتبٌ حُلو النفس، عَذْب الروح، خفيف الظل، لا تثقل على قرائك مهما يطيلوا عشرتك.

وأذكر أني تلقَّيتُ ذات مرة في باريس «سلوى في مهب الريح»، فترددت في قراءتها، وآثرت أن أقرأ ما كنت أقرأ فيه من الأدب الفرنسي — على اختلافه — ولا سيما حين أكون في فرنسا، ولكنني لا أستطيع أن أرد نفسي عن قراءة آثارك، فأخذت نفسي بأن أقرأ من كتابك هذا صُحُفًا بين حين وحين، على ألا يصرفني عما أنا فيه من قراءة في الأدب الفرنسي، وأُقْسِمُ ما بدأتُه حتى أعرضت عن كل ما أنا فيه، ومضيت في قراءته حتى أتممت كتابك على طوله، ولم أقطع القراءة إلا حين لم يكن من قَطْعِها بدٌّ.

وهذا شأن غيرها من القَصَص الذي تكتبه باللغة العربية، يأتي هذا كله من أنك دقيق في التصوير، ومن أنك متعمق لحقائق الأشياء، دون أن يظهر تعمُّقك للقرَّاء، ودون أن تقول للقارئ انظر، ألا ترى أني قد بحثت فأحسنت البحث، واستقصيت فأحسنت الاستقصاء؟ ودون أن تصنع صنيع «البحتري» حين كان ينشد بعض قصائده، فإذا رأى من «المتوكل» وممن حوله شيئًا من الفتور سأل: ما لكم لا تعجبون؟! وما لكم لا تُصَفِّقون؟!

وفيك بعد هذا كله دُعابة حُلوة لا يكاد الإنسان يبلُغها حتى يقف عندها، ثم يمضي في قراءتها، ولكن لا ينسى هذه الدعابة؛ دُعابة في اللفظ، ودُعابة في التصوير، ودُعابة في التفكير أيضًا.

وقد كنت أقرأ منذ أيام قصةَ «شفاه غليظة»، وكم كنت أحب أن تسميها «الشفاه الغلاظ»، فوُفِّقْتَ عند تصويرك لشفتي تلك الفتاة: شفتان غليظتان لا تريدان أن تلتقيا، كأنَّ بينهما خصامًا؛ الشفة العليا لا تريد أن تنحدر أو أن تهبط لتمسَّ الشَّفَة السفلى، كأن بها كبرياء، ولكن الشيء الذي استهوى بطلك في هذه القصة، وملك عليه قلبه ولبه

وفؤاده كله، هو شيء في إحدى هاتين الشفتين، نتوء ضئيل جدًّا في وسط الشفة لا ينفرج ولا يتسع، ولا يتيح لهذه الشفة أن تستوي إلا حين تضحك الفتاة أو تبكي أو تأخذها ثورة من ثورات العاطفة.

هذا النتوء اليسير كان مدار قصتك كلها من أولها إلى آخرها، شيء يسير جدًّا في شفة فتاة من الفتيات، رآها مُحامٍ فَفُتِنَ بها وهام بها الهيام كله، وأقام عليها حياةً أَخَصُّ ما توصف به أنها حياة رجل ذكي عبثت به فتاة فاستغفلته مرتين أو مرات.

وكذلك أنت في كثير جدًّا من قصصك، أو في كل قصصك، تصل أو تستكشف شيئًا يسيرًا، وتجعله مدارًا للقصة تعود إليه، كأنه لحنٌ من هذه الألحان اليسيرة التي يبني الموسيقي عليها قطعته.

فأنت تجد في قصصك فكرة أو صورة أو خاطرة دقيقة يسيرة تدور عليها قصتك، فتستهوي وتخلب وتَسْتَلِب القلوب.

كتبك ليست قليلة، وأحسبها قد بلغت الثلاثين أو جاوَزَتْها، تُرجِمَ منها الكثير، وسَيُتَرْجَمُ منها أكثر مما تُرْجِمَ، ولا أكاد أعتقد أن كاتبًا مصريًّا مهما يكن شأنه قد وصل إلى الجماهير المثقفة وغير المثقفة كما وصلت أنت إليها، فأنت شديد الانتشار، لا تكاد تكتب الكتاب حتى يتهافت عليه القارئون في البلاد العربية كلها.

أتظن بعد هذا أنك لم تتفوَّق على أسرتك، ولم تُضِفْ إلى تراثها العظيم؟

أتظن بعد هذا أنك مَدينٌ بمكانتك الأدبية لهذه الأسرة الأدبية النابغة؟

أليس الحق أنك أخذت عنها كثيرًا، وأضفت إليها كثيرًا؟

ثم أتفهم الآن لماذا سعى إليك المجمع رفيقًا، كما يسعى إلى شيء ذي خطر لا يسهل الوصول إليه؟ سعى إليك سَعْيَ الحية فيما يقول «عمر بن أبي ربيعة»، سعى فَقَدَّرَ آدابك العربية وأجازها ونوَّه بها، ثم اسْتَأْنَى بك لأنه يعرف تواضعك وهدوءك، ويعرف ما طُبِعْتَ عليه من حب العزلة والانزواء، اسْتَأْنَى بك حتى تسيغ هذا التقدير وحتى تطمئن إليه، استأنى بك سنة أو سنتين، فلما عرف أنك تلقيت هذه الصدمة وصبرت لها واحتملتها، ثم تعزَّيْتَ عنها، فسافرت وأقمت وقرأت وأنتجت، هجم هجمته الكبرى وأخذك على غِرَّةٍ، وأشهدُ ما عرفت أنت ولا أحسست قط بأن المجْمَع يريد أن يضمك إليه، وإنما أخذك المجمع فجاء في ذات يوم في جلسة من الجلسات، فَأْتَمَرَ بك صديقان لك، هما: «أحمد أمين» و«طه حسين»، فرشَّحَاك للمجمع، ولم يكادا يَعرِضان ترشيحهما حتى أجمع هذا المجمع على اختيارك، وإذا أنت قد التهمك المجمع التهامًا كما التهمتك اللغة العربية الفصحى الْتهامًا من قبل.

كنتَ مدافعًا عن اللغة العربية الفصحى بما تكتب وما تنتج من آثار، لا تكاد تزيد على ذلك، وحسبك بهذا دفاعًا عنها وصيانة لها.

ولكنَّ المجمع يقول لك منذ الآن ألَّا تكتفيَ بالإنتاج الأدبي، بل تضيف إلى هذا الإنتاج الأدبي مشاركة في هذا العناء المتواضع الذي يشقى به المجمع مرة في كل أسبوع، وعسى أن يشقَى به أكثر من مرة، فاصبر نفسك على الصدمة الثانية، كما صبرتها على الصدمة الأولى، واطمئن إلى أن المجمع لا يملك أن يروعك بعد ذلك، فقد انتهى أمرك، ولكن لا تطمئن يا سيدي؛ فإنَّ الدنيا لا تشتمل على المجمع وحده، وإن الذين ينتجون مثلما تنتج ويسيرون في الحياة الأدبية والعقلية مثلما تسير مضطرون إلى أن يصبروا للأحداث، وأحداث المجد الأدبي خاصة، وهذه الأحداث أظن — بل أصدق — بأنك تعرف أثقالها، وتعرف كيف تحتمل هذه الأثقال؟

الباب الأول

الشعراءُ الخُلَّصُ

ويشتمل على ستة أقسام

تمهيد

بقلم أحمد تيمور

إذا قيل: إن العربي لا يخطئ، فالمراد لا يخطئ في اللفظ للملكة اللسانية الراسخة فيه،[1] وأما في المعاني فلم يقل أحد بعصمة جنانه، كما قالوا بعصمة لسانه، بل هو خلاف ما صرح به أئمة العربية، ألا تراهم كيف خطَّئوا أبا قيس بن رفاعة[2] في قوله:

منَّا الذي هو ما إن طَرَّ شاربه والعانسون ومنَّا المُرد والشِّيب

لأنه لم يحسن التقسيم في البيت.

---

[1] لبعض شعراء العرب أغلاط لفظية نبه عنها العلماء، وفي كونها للضرورة أو لغيرها خلاف لا يسع المقام ذكره.

[2] لم يتعرض البغدادي لهذا البيت في شرحه لشواهد المغني بسوى قوله: «قال أبو عبيد البكري في شرح نوادر القالي: البيت لأبي القيس بن رفاعة، هكذا يقول يعقوب، وغيره يقول: قيس بن رفاعة.» قلنا: للبكري كتابان؛ أحدهما: شرح نوادر القالي الذي نقل عنه البغدادي هذه العبارة، والثاني التنبيه على أوهام القالي في أماليه، وعندنا منه نسخة صحيحة مقروءة كُتبت سنة ٦٦٢هـ، ونص ما فيها عن قيس بن رفاعة: «إنما هو أبو قيس بن رفاعة واسمه دثار، وقد ذكره أبو علي — رحمه الله — بعد هذا في كتابه على صحته الخ.» إلا أن أحدَ مَنْ قرأ النسخة زاد لفظ «أبي» قبل رفاعة فصار ابن أبي رفاعة، وكتب فوقه «صح.»

وقد اعترض ابن هشام في «المُغْنِي» على ذكره المُرْد بعد قوله: ما طرَّ شاربه؛ إذ الذي لم ينبت شاربه أمرد، فكأنه قال: منا الأمرد، ومنا المُرد، ثم قال: «والبيت عندي فاسد التقسيم بغير هذا، ألا ترى أن العانسين، وهم الذين لم يتزوجوا، لا يناسبون بقية الأقسام؟ وإنما العرب محميُّون عن الخطأ في الألفاظ دون المعاني.» انتهى.

وقد حاول بعض شراحه تصويب ما في البيت بتقدير أنَّ أصله: منا العانسون والمتزوجون ومنا المرد والشيب، وذكروا فيه أوجهًا أخرى لا تخلو من مثل هذا التكلف.

وقال الجاحظ في كتاب الحيوان: «وليس الأعرابي بقدوة إلا في الجر والنصب والرفع وفي الأسماء، وأما غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب»، والنصوص على ذلك كثيرة لا تختلف إلا في المبنى فلا حاجة لذكرها، وقد بحثنا فيما وصل إلينا من هذه الأوهام وتفحصنا أسبابها، فرأيناها ترجع إلى الأقسام الآتية:

القسم الأول

فمن أسباب الوهم في المعاني جهل الشاعر بما يذكره لبعده عنه، فتراه يأتي به على غير حقيقته، ويضعه في غير موضعه، أو يبهم في وصفه فلا يدنيه منك ولا يبعده، كالحَضَرِيِّ الذي لم يسبق له التبدِّي، والبدوي الذي لم يتحضَّر، فإنهما قلَّما يستطيع أحدهما أن يذكر ما عند الآخر فيصيب فيه، أو يصفه فيحسن الإفصاح عنه؛ لأنه إنما يذكر ما لم يعرفه، ولم يره إلا بسمعه، حكى صاحب الأغاني عن الكُمَيْت أنه قال لما قدم ذو الرمة أتيته فقلت إني قد قلت قصيدة عارضت بها قصيدتك: «ما بالُ عينك منها الماء ينسكب» فقلت:

هل أنت عن طلب الأيفاع منقلب   أم كيف يحسن من ذي الشيبة اللعب؟

حتى أنشدته إياها، فقال لي: ويحك! إنك لتقول قولًا ما يقدر إنسان أن يقول لك أصبت ولا أخطأت، وذلك أنك تصف الشيء فلا تجيء به، ولا تقع بعيدًا عنه، بل تقع قريبًا. قلت له: أوتدري لمَ ذلك؟ قال: لا، قلت: لأنك تصف شيئًا رأيته بعينك، وأنا أصف شيئًا وُصِفَ لي، وليست المعاينة كالوصف. قال: فسكت. انتهى.

ويروى أن الكميت كانت له جدتان أدركتا الجاهلية، فكانتا تصفان له البادية وأمورها، وتخبرانه بأخبار الناس في الجاهلية، فإذا شك في شعر أو خبر عرضه عليهما فتخبرانه، فمن هناك كان علمه.

قلنا وقد رأيت كيف لم يُغْنِهِ وصف الجَدَّتين شيئًا، فوقع فيما احتاج إلى الاعتذار منه، وليت شعري! أين عزَبَتَا عنه لَمَّا نظم قصيدته: «أبت هذه النفس إلا ادِّكارًا» فقال فيها:[1]

إذا ما الهجارس غنَّيْنَها   يُجاوبن بالفَلَوَات الوِبارا[2]

وقال:

كأنَّ الغُطامط من غليها   أراجيزُ أَسْلَمَ تهجو غِفارا[3]

فكانتا تخبرانه بأنَّ الوِبار لا تسكن الفَلَوَات، وبأنَّ أسلمَ ما هجت غفارًا قط، فتنجيانه من انتقاد نُصَيب.

ومَثَلُ هذا الحضريِّ في وصفه ما لم يرَه من أمور البادية، كَمَثَلِ ذلك البدويِّ الذي سمع بأنَّ الرقاق والفستق من مأكول الحضر، وأراد وصف جارية بالتبدِّي، فقال:

دستيَّةٌ لم تأكل المرقَّقا   ولم تذقْ من البقول الفستقا[4]

[1] في الأغاني أن المُنْتَقِد للبيتين نصيب.

[2] الهجارس: الثعالب، أو كل ما يعسعس بالليل مما كان دون الثعلب وفوق اليربوع، والوِبار (بكسر الأول): جمع وبر، وهي دويبة على قدر السِّنَّوْر.

[3] أصل الغُطامط (بضم الأول): صوت غليان موج البحر، وأراد هنا صوت غليان القدور؛ لأنه يصف قدور أبان بن الوليد البجلي، والذي في الخصائص والمزهر أن أسلم وغفارًا لم تقع بينهما مهاجاة، ومثله في الموشح للمرزباني، وزاد أنهما من قبيلة واحدة، ومثله أيضًا في شرح القاموس إلا أنه ذكر في إحدى الروايات أنهما تهاجتا مرة، وهو قول تفرد به قائله.

[4] البيت لأبي نخيلة الأسدي، والدستية: المنسوبة إلى الدست، وهي الصحراء، وهي رواية اللسان، والذي في الصِّحَاح وأكثر كتب الأدب: «برية»، والمراد أنها بدوية لا تعرف الحضر ولا مآكله.

وعذره أنه لم يعرف الفستق، وإنما سمع به فظنه من البقول، وهو ثمر شجرة، قال شارح القاموس: «وتمحَّلَ بعضُهم فقال: إنما هو من النقول بالنون،[٥] قال الصاغاني: «ولكن الرواية بالباء لا غير.» انتهى.

ولا ندري ما الذي كان يأتينا به في الرقاق لو اتسع له المجال في البيت، ولو أنَّا قدَّرنا عكس هذه الحالة، وأرينا هذا الأعرابيَّ الرقاق والفستق قبل أن نخبره بهما، لكان حقًّا علينا أن نعذره كما عذرناه أولًا إذا رأيناه يعدل عن حقيقتهما إلى ما يُصوِّره ظنه فيهما، كما وقع للعرب في وقعة أُلَّيْس،[٦] لما استولوا على ما في معسكر الفرس، فجعل من لم ير الرقاق منهم يقول: «ما هذه الرقاع البيض؟» على ما حكاه ابن الأثير في الكامل.

ومن طريف ما يُروَى عن ناهض بن ثومة، وكان بدويًّا جافيًا، أنه نزل حلب، وشهد في ضاحيتها عرسًا، فلما رأى احتشاد الناس ظنَّهم في أحد العيدين، ثم تذكَّرَ أنه خرج من البادية في صفر وقد مضى العيدان، ولما رأى العروس بين السماطين ظنه أمير البلد في يوم جلوسه للناس، ثم وصف ما رآه في العرس على ما تصوَّره، فقال عن الموائد: «فلم أنشب أن دخل رجال يحملون هَنَات مُدَوَّرات، أما ما خفَّ منها فيُحْمَلُ حملًا، وأما ما كبر وثقل فيُدَحْرَج، فوُضِعَ ذلك أمامنا، وتحلَّقَ القوم عليه حِلَقًا، ثم أُتِينا بِخرَقٍ بيضٍ، فأُلقِيَت بين أيدينا فظننتها ثيابًا، وهممتُ أن أسألَ القوم منها خرقًا أقطعها قميصًا، وذلك أني رأيت نسجًا متلاحمًا، لا يبين له سَدًى ولا لُحمَة، فلما بسطه القوم بين أيديهم، إذا هو يتمزق سريعًا، وإذا هو فيما زعموا صنفٌ من الخبز لا أعرفه»، وقال عن العود: «وكان معنا في البيت شابٌّ لا آبَهُ له، فَعَلَتِ الأصواتُ بالثناء عليه والدعاء، فخرج فجاء بخشبة عيناها في صدرها، فيها خيوط أربعة، فاستخرج من خلالها عودًا، فوضعه خلف أذنه، ثم عرك آذانها وحركها بخشبة في يده، فنطَقَت وربِّ الكعبة! وإذا هي أحسن قَيْنَة رأيتها قط، وغنَّى عليها فأطربني حتى استخفَّني من مجلسي، فوثبت فجلست بين يديه، وقلت: بأبي أنت وأمي ما هذه الدابة؟ فلست أعرفها للأعراب، وما أراها خُلِقَت إلا قريبًا؟

[٥] النقول: جمع نقل، وهو ما يتنقل به على الشراب، ولعله أراد بالمتمحل الجوهري؛ لقوله في الصِّحَاح: «ظنَّ هذا الأعرابي أن الفستق من النقل، وهكذا يُروى بالباء، وأنا أظنه بالنون؛ لأن الفستق من النقل وليس من البقل.»

[٦] في نسخة الكامل لابن الأثير المطبوعة ببولاق «الليس» والصواب: «أُلَّيْس» (بضم الهمزة وتشديد اللام المفتوحة وسكون الياء)، كما في معجم البلدان لياقوت.

فقال: هذا البَرْبَط. فقلت: بأبي أنت وأمي، فما هذا الخيط الأسفل؟ قال: الزِّير. قلت: فالذي يليه؟ قال: المَثْنى. قلت: فالثالث؟ قال: المَثْلث. قلت: فالأعلى؟ قال: البَمُّ. فقلت: آمنت بالله أولًا، وبك ثانيًا، وبالبربط ثالثًا، وبالْبَمِّ رابعًا.» انتهى.

ومن قبيل بيت الفستق قول عمر بن أحمر الباهليِّ يصف امرأة بالغرارة:

لم تدرِ ما نسجُ اليَرَنْدَجِ قبلها ودراس أعوصَ دارسٍ متخدَّد

يريد أنها غرَّة لا تعرف نسج اليرندج، ولم تدارس الناس عويص الكلام الذي يخفى أحيانًا ويتبين أحيانًا، قالوا: ولم يعرف الشاعر أنَّ اليرندج: جلد أسود تُعمَل منه الخفاف، فظنه مما يُنسَج، والتمس بعضهم له مخرجًا، فقال: أراد بالنسج هنا: المعالجة والعمل، وقال آخر: بل أراد أنها لغرَّتها وقلة تجاربها ظنت أن اليرندج منسوج.

قلنا: ولا نخال النصوص اللغوية تساعد على الأول، أما الثاني فكما قال أبو هلال في الصناعتين: إن ألفاظ البيت لا تدل عليه.

«ومن قبيله» قول رؤبة:

بلْ بلدٍ ملء الفجاج قَتَمُهُ لا يُشتَرَى كتَّانه وجَهْرَمُهْ

وجَهْرَم: قرية بفارس تنسب إليها الثياب والبُسُط، قال أبو عمرو والأصمعي: فظن رؤبة أنها ثياب، وردَّ عليهما عليٌّ بن حمزة البصري في التنبيهات: بأنه أراد كتانة وجهرمية، فقطع ياء النسب، كما قال العجاج:

يكاد يدري القيقبان المُسرجَا

والقيقب: خشب تُنحَتُ منه السروج، فنسب السُّرُج إليه، فقال القيقبانيُّ: ثمَّ قطع ياء النسب.

وقد استشهد الوزير البطليوسيُّ بهذا البيت في شرح ديوان امرئ القيس، فذهب فيه مذهب أبي عمرو والأصمعي؛ حيث قال: «وغلط في الجهرم ظن أنها ثياب وهو بلد بفارس.»

«ومن قبيله» قول الراعي يصف امرأة تَدَّهِنُ بالمسك:

تكسو المفارق واللبَّات ذا أرج من قُصب معتلِف الكافور درَّاج

فجعل المسك من القصب، وهو الْمِعَى، وكأنه لما سمع أنه من دابة ظنها تعتلف الكافور، فيتحول في أمعائها إلى مسك، ويُجتَنَى منها، وخطَّأَه أبو حنيفة الدينويُّ في كتاب النبات في قوله يصف إبلًا:

لها فأرة ذفراء كل عشية كما فتق الكافور بالمسك فَاتِقُهْ[7]

فقال: «ظنَّ أنه يُفتق به، وكان الراعي أعرابيًّا قُحًّا، والمسك لا يُفتق بالكافور»، ولكن علي بن حمزة البصري رد عليه في التنبيهات بقوله: «أما قوله: والمسك لا يفتق بالكافور فصحيح، ولم يقل الراعي كما فتق المسك بالكافور، وإن كان المسك لا يفتق بالكافور، فإن الكافور يفتق بالمسك، وجعل الراعي أعرابيًّا قُحًّا، ونسبه إلى الجفاء، وأوهم أنه قد غلط، وخطأه في شيء لم يقله، اللهم إلا أن يكون عند أبي حنيفة أن الكافور لا يفتق بالمسك، ويكون قد غلط هو في العبارة وعكسها، فيكون في هذه الحالة أسوأ حالًا منه في الأولى، ويكون قليل الخبرة بالطيب وعمله واستعماله، ولا رائحة أنمُّ[8] من الكافور إذا فُتق بالمسك، يشهد بذلك بنو النعمة والعطارون قاطبة.» انتهى.

«ومن قبيله» قول رؤبة:

هل يعصمنِّي حَلِف سِخْتيت أو فضة أو ذهب كبريت[9]

[7] إذا رعت الإبل العشب وزهره، ثم شربت وصدرت عن الماء، نديت جلودها، ففاحت منها رائحة طيبة، فيقال لتلك: فأرة الإبل، والذفر: شدة ذكاء الريح من طيب أو نتن، والمراد هنا الأول، وفتق الطيب: خلطه بغيره لاستخراج رائحته.

[8] في نسخة التنبيهات (١١:٢٠٤): أخم بدل أنم، والسياق لا يقتضي الوصف بالرائحة الخبيثة المتغيرة، ولا نظنه إلا خطأ من النساخ، وصوابه: «أنم» كما أثبتناه، وهو من قولهم: نمَّ المسك، إذا سطع.

[9] السختيت (بكسر فسكون): الشديد.

قال ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما: ظن رؤبة أن الكبريت ذهب، وفي العقد: سمع بالكبريت أنه أحمر فظن أنه ذهب، وفي شفاء الغليل: «وَذَكَرَه رؤبة في شعره بمعنى الذهب، وخُطِّئ فيه لأن العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الألفاظ.»

قلنا: ولا يخرج ما في اللسان عن ذلك، ولكنه ذكر تفسير الكبريت بالذهب الأحمر في قولٍ لبعضهم، وهو كما لا يخفى يناقض ما اعترض به هؤلاء الأئمة، فلعله حدث بعد نظم البيت، وبنى على ما فيه وثوقًا من قائله بالشاعر، وليُحقَّقْ.

«ومن قَبيله» قول أبي ذؤيب في وصف الدرة:

فجاء بها ما شئت من لَطَميَّة ... يدوم الفُرات فوقها ويموج[١٠]

قالوا: والدُّرَّةُ لا تكون في الماء العذب، وإنما تكون في الماء الملح، كذا في اللسان والعقد والوساطة وما يجوز للشاعر في الضرورة وغيرها، وذكر أبو هلال في الصناعتين: أن من يحتج له يرى أن مراده ماء الدرة، وقد وقفت في شرح السيرافي على كتاب سيبويه على تفصيل لذلك بما نصه: «قال الأصمعي: هذا غلط، وذلك أنه ظن أن اللؤلؤ يخرج من الماء العذب لبعده عن مواضع اللؤلؤ، ومعنى يدوم الفرات فوقها ويموج: أي يسكُن مرةً ويهيجُ أخرى بالريح أو زيادة الماء»، وذكر بعض أهل اللغة أن هذا صحيح، وأن الأصمعي هو الغالط، وكيف يذهب هذا على أبي ذؤيب، وهو من هُذيل، ومساكنهم جبال مكة المطلة على البحر ومواضع اللؤلؤ، وإنما أراد أبو ذؤيب بالفرات هاهنا ماء اللؤلؤ الذي قد علاها وجعله فراقًا؛ إذ كان أعلى المياه ما كان فراقًا، وقوله: يدوم الفرات؛ أي يسكن، ويموج؛ أي يضطرب، إنما أراد أنه يسكن في الناظر مرة، ويضطرب أخرى لصفائها وبريقها، وأن الماء هو ماء اللؤلؤة، انتهى.

ومن ذلك قول لَبِيد:

ومقام ضَيِّقٌ فرَّجتُه ... بمقامي ولساني وجَدَلْ

---

[١٠] اللطمية (بفتحتين) نسبة إلى اللطمية (بفتح فكسر): وهي الدواب التي تحمل العطر والبَزَّ ونحوهما غير الميرة، ورواية اللسان في «دوم»: تدوم البحار… إلخ، قال: ورواه بعضهم: يدوم الفرات، وهذا غلط لأن الدر لا يكون في الماء العذب.

لـو يـقـوم الـفـيـل أو فـيَّـالُـه   زلَّ عن مثل مقامي وزحل[١١]

أي: لو يقوم الفيل أو صاحبه في هذا المقام لزلَّ وتنحى ولم يثبت مثل ثباتي، ولا معنى لذكر الفيَّال هنا، ولكنه لما سمع بعظم خلق الفيل وشدة أَيْدِهِ ظنَّ أن لِسَائِسِه مثلَ قوَّته فأخطأ.

«ومنه» قول الآخر:

وأَلْيَن من مس الرخامات يلتقي   بمارنه الجاديُّ والعنبر الورد

أنشده السيوطي في المزهر، ونقل عن القالي في أماليه أنه قال: «غلط الأعرابي؛ لأن العنبر الجيد لا يوصف إلا بالشهبة.»

قلنا: البيت وارد في الأمالي، وهو من أبيات أولها:

سقى دمنتين ليس لي بهما عهد

وليس في النسخة المطبوعة ما نقل في المزهر من الانتقاد، فلعل القالي ذكره في كتاب آخر له.

ومنه قول خالد بن زهير:

وقـاسـمـهـا بـالـلـه جَـهْدًا لأنـتـمُ   ألذُّ من السَّلوَى إذا ما نَشُورُها

ظن السلوى العسلَ فقال نَشُورها؛ أي تجنيها من الخلية. قال الزَّجَّاج: أخطأ خالد، إنما السلوى طائر، وتمحَّلَ الفارسي في الرد عليه بأنَّ السلوى كل ما سلَّاك، وقيل للعسل سلوى؛ لأنه يسليك بحلاوته وتأتِّيه عن غيره مما تلحقك فيه مئونة الطبخ وغيره من أنواع الصناعة. انتهى، ولا يخفى ما فيه.

[١١] في رواية أخرى: «زاح» بدل «زلَّ»، ومعناه: تنحَّى.

القسم الثاني

وكما أنهم يُخطِئون فيما لم يَرَوهُ ويعهدوه، نراهم يخطئون أيضًا فيما نشئوا عليه، وأَلِفوا رؤيته صباح مساء، ومَأْتَى هؤلاء من تعرُّضِهم لما عرفوا جملته، ولم يحيطوا بتفصيله؛ لأن المعرفة تتفاوت كثرةً وقلةً بحسَب ملابسة الأشياء ومجانبتها، فمن كان أشد علاقة بالشيء كان بالضرورة أخبَرَ به وأبصر ممن ضعفت علاقته به، أو قصرت معرفته له على مجرد الإِلْفِ والمشاهدة، ألا ترى أن قيِّم الغراس لا يجهل السيف، كما لا يجهله سائر العرب؟! ولكنا إذا اختبرناه فيه لا نُصِيبُ عنده من العلم به وبدقائق أجزائه ومختلف حالاته وصفاته ما نُصِيبُه عند الطبَّاع والصيقل، وكذلك نرى صاحب الظلف أعرف بالشاة والعنز منه بالفرس والبعير، وصاحب الخيل أبصر بها من الملَّاح أو البزَّاز، وقس على ذلك سائر الأمور في الكثير الغالب، ومن هذه الناحية تطرق الخطأ لرؤبة في قوله يصف فرسًا ويذكر قوائمه:

بأربع لا يعتنفن العفْقا[1] يهوين شتَّى[2] ويقعن وَفْقَا

فجعله يضبر؛ أي يجمع يديه ثم يثبت فيقع مجموعة يداه، وهو عيب؛ لأن الجياد من الخيل لا تقع حوافرها معًا، وإنما المستحبُّ من الفرس أن يسبح بيديه، ولما قيل

[1] اعتنف الشيء: جَهِلَه، والعفق: شدة العدو.

[2] كذا في اللسان والديوان والموشح وغيرها، ورواه الزجاجي في أماليه: «مثنى.»

له: أخطأت يا أبا الجحَّاف[٣] جعلته مقيدًا يضبر، قال: أي بنيَّ، لا علم لي بالخيل، ولكن أَدْنِنِي من ذَنَبِ البعير أَصِفْه كما يجب، قال الأصمعي: فأُدنِيَ منه فلم يصنع شيئًا.

«ومثله» قول أبي النجم يصف فرسًا أجراه في الحلبة:

يسبح أخراه ويطفو أوَّلُهْ

قال الأصمعي: أخطأ في هذا؛ لأنه إذا سبح أخراه كان حمار الكسَّاح أسرع منه، وإنما يُوصف الجواد بأنه تسبح أُولاه وتلحق رجلاه، كذا في الأغاني، وفي العقد أنَّ اضطراب مؤخر الفرس قبيح، والوجه ما قال أعرابيٌّ في وصف فرس أبي الأعور السلميِّ:

مرَّ كلمع البرق ناظره   يسبح أولاه ويطفو آخره
فما يمس الأرض منه حافره

وقال ابن قتيبة في طبقات الشعراء: «وكان أبو النجم وصَّافًا للفرس، وأُخِذَ عليه في صفته يسبح أخراه ويطفو أوله.»[٤] ثم ذكر قول الأصمعي ولم يزد، ولكن علي بن حمزة البصري نقل عنه في التنبيهات قولًا عن غير الأصمعي فيه تصويبٌ لما في الرَّجَز، فلعله ذكره في كتابٍ آخر غير الطبقات، وعزا علي بن حمزة انتقاد الأصمعي إلى تعصبه على أبي النجم، ومن يَسْتَقْرِ كلامه في هذا الكتاب يَجِدْ عجبًا من تعصبه هو علي الأصمعي وردِّه ما يقول بحقٍّ وبغير حقٍّ، وكان خيرًا له أن يعتذر هنا لأبي النجم اعتذار رؤبة لنفسه.

ومما خُطِّئ فيه أبو النجم ونبه عنه ابن قتيبة في طبقات الشعراء قوله في وصف فرس:

كأنها مِيجَنةُ القَصَّار[٥]

[٣] بفتح الجيم وتشديد الحاء المهملة: كُنْيَة رُؤْبَة.

[٤] يستفاد من هذا أن كثرة وصف الشيء لا تعصم القائل من الخطأ فيه إذا لم يكن عليمًا به.

[٥] الميجنة (بكسر الأول): مِدَقَّة القصَّار وصانع الجلد؛ أي الخشبة التي يدق بها.

ولم يُبَيِّنْ وجهه بسوى قوله: إن الميجنة لصاحب الأَدَم؛ أي الجلد، وإنها أيضًا التي يُدقُّ عليها الأَدَم من حجر وغيره، فإن كان يريد أنها لا تكون لقصَّار الثياب — كما يؤخذ من كلامه وكلام أبي هلال في الصناعتين — فليس بشيء؛ لأنها تكون لكليهما، وإن كان الخطأ في تشبيه الفرس بها، فربما، ولكن لم يظهر لنا وجهه.

ومما أخطأ فيه أبو النجم أيضًا قوله في الإبل:

وهي على عذب رويٍّ المنهل دَحْل أبي المرقال خير الأَدْحُل
من نحتِ عادٍ في الزمان الأوَّل

ففي الأغاني: «قال الأصمعي: الدحل لا تُورَده الإبل، إنما تُورَد الركايا، وقد عِيبَ بهذا، وعِيبَ بقوله في البيت الذي يليه: إنَّ هذا الدحل من نحت عاد، قال: والدُّحْلَان لا تُحفر ولا تُنحت، إنما هي خروق وشعاب في الأرض والجبال لا تصيبها الشمس فتبقى فيها المياه، وهي هُوَّةٌ في الأرض يضيق فمها، ثم تتسع فيدخلها ماء السماء.»

ومما أخطأ فيه في الإبل أيضًا قوله يصف ورودها:

جاءت تَسَامَى في الرعيل الأوَّل والظل عن أخفافها لم يَفْضُل

فقوله: والظل لم يفضل عن أخفافها يدل على أنها وردت الماء في الهاجرة، والعرب إنما تصف الورود غلسًا والماء بارد، كقول الشاعر:

فوردت قبل الصباح الفاتق

وقول الآخر:

فوردت قبل تبيُّن الألوان

وقول لبيد:

إن مِنْ ورديَ تغليسَ النَّهَلْ

ومما خطَّئوا فيه أبا النجم قوله في وصف راعي الإبل:

صُلْب العصا جافٍ عن التغَزُّل

قالوا: ولا يوصف الراعي بالصلابة على إبله، والعرب إذا أرادت وصفه قالت: «هو ضعيف العصا.» كأنه لحسن رعايته لا يحتاج إلى شدة وغلظة، كما قال الشاعر:

ضعيف العصا بادي العروق ترى له   عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا[٦]
صدى إبل أن تتبع الريح مرة   يدعها ويخفى الصوت حتى تربَّعا[٧]
إذا سرحت من مبرك نام خلفها   بميثاء مبطان الضحى غير أروعا[٨]
لها أمرها حتى إذا ما تبوأت   بأخفافها مأوى تبوَّأ مضجعا

فهذا ما تُوصف به حذَّاق الرعاة، ومثله قول الراجز:

إذا الركاب عرفت أبا مَطَرْ   مشت رويدًا وأسفَّت في الشجر

لأنها ألفت منه الرفق بها وترْكها ترعى كما تشاء، وقيل: لم يرد أبو النجم بصلابة العصا شدته عليها، وإنما أراد وصفه بصلابة الظهر وقوة البدن، كما يقال: فلان صلب القناة. وقيل: بل أراد أنه صلب العصا على الحقيقية؛ لأن الراعي إذا كان جَلدًا صارمًا اختار عصاه من أصلب ما يقدر عليه، وإلا هلكت إبلُهُ وضاعت، وعبثت بها الوحوش

---

[٦] الإصبع هنا: كناية عن الأثر الحسن، ويروى «أجدب» بدل «أمحل»، وقد ضمنه الشهاب الخفاجي في قوله «وأورده» في كتابه السوانح:

أرى النيل في مصر له كل منة   على أهلها إذ عمم الخير أجمعا
أياديه قد فاضت وزاد له الوفا   عليها إذا ما أجدب الناس إصبعا

[٧] صدى إبل: أي رفيق بسياستها، عالم بها وبمصلحتها، يقال: فلان صدى مال وصدى إبل إذا كان كذلك.

[٨] الميثاه (بفتح الأول): الأرض اللينة السهلة.

والسابلة، وقد أطال علي بن حمزة البصري في التنبيهات في الانتصار له بما لا يخرج عما ذكرناه.

وقد آن لنا أن نَدَع أبا النجم وننتقل إلى الملك الضِّليل لنرى كيف ضل في وصف فرسه، فقال:

فللسوط أُلْهُوب وللساق دِرَّة وللزجر منه وقع أخرج مُهْذِب[٩]

الألهوب والدرَّة: شدة الجرى، والأخرج: الظليم، والمهذب: السريع العدْو، أراد امرؤ القيس أن يصف فرسه بالسرعة فذكر أنه يضربه بالسوط فيلهب، ويركضه بساقه فَيَدرَّ جريه، ويزجره فيقع الزجر منه موقعه من الظليم فيعدو عَدْوَه، قالوا: ولو استُعين بهذه الأشياء على أخسِّ حمار وأضعفه فعدا لم يستحق أن ينعت بالسرعة، ويقال: إن أول من عاب عليه هذا البيت امرأته — أم جندب — لما احتكم إليها هو وعلقمة بن عَبَدة الفحل في أيهما أشعر؟ فقالت: سمعتك زجرت وضربت وحركت، وفرس بن عبدة أجود من فرسك حيث يقول فيه:

فأقبل يهوي ثانيًا من عنانه يمر كمرٍّ الرائح المتحلب

فغلَّبت علقمة عليه، ولله دَرُّ ابن المعتز؛ فإنه ذكر السياط ولكنه احترس احتراسًا حسنًا، فقال:

صببنا عليها ظالمين سياطنا فطارت بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

فقوله: «ظالمين» من أحسن ما يُحترس به هنا.

---

[٩] ويروى:

وللزجر منه وقع أهوج منعب

وهو من النعب؛ أي السير السريع.

ومما أُخذ على امرئ القيس قوله في وصف فرس أيضًا:

لها متنتان خظاتا كما أكبَّ على ساعديه النَّمِرْ[١٠]

ومعنى الخظاة: المكتنزة، أراد لها متنان كثيرا اللحم كساعِدَي النمر البارك في الغلظ، وليس هذا مما تُمدَح به الجياد، وإنما المستحبُّ في المتن والوجه: التعريق، كما قال طفيل:

معرفة الألحى[١١] تلوح متونها

وفي اللسان: «ويستحب من الفرس أن يكون معروق الخدين، قال:

قد أشهد الغارة الشعواء تحملني جرداء معروقة اللحيين سُرحوب

ويروى: معرقة الجنبين، وإذا عرى لَحْياها من اللحم فهو من عاملات عتقها، وفرس معرَّق: إذا كان مُضَمَّرًا، يقال: عرِّق فرسك تعريقًا؛ أي أَجْرِهِ حتى يعرق ويضمر ويذهب رهل لحمه.» انتهى.

وتبعه أبو ذؤيب الهذلي فقال في فرس:

قصَرَ الصبوح لها فشُرِّج لحمها بالنَّي فهي تتوخ فيها الإصبع[١٢]
تأبى بدرَّتها إذا ما استكرهت إلا الحميم فإنه يتبضَّع

أي قصر صاحبها عليها اللبن فسمنت حتى شرج لحمها بالنَّي؛ أي خُلط بالشحم، فلو غمزته بإصبعك تاخت فيه، فجعلها كثيرة اللحم رخوة، وهو عيب؛ لأن الجياد توصف بقلة لحمها وصلابته، وأما الذي قاله فالأحرى به شاة يُضحَّى بها، قالوا: وأخطأ في البيت

[١٠] متنتا الظهر ومتناه: مكتنفا الصلب، وأراد بخظاتا: «خظاتان» فحذف النون، أو أراد «خظتا» فأشبع، والكلام فيه لا يحتمله المقام.

[١١] الألحى: جمع لحي، وهو ما ينبت عليه العارض، والمراد: جانب الوجه.

[١٢] ويروى: «تثوخ» بالمثلَّثة، وهما بمعنى ساخ في الشيء؛ أي دخل وخاض فيه.

الثاني أيضًا، فقال: «تأبى بدرَّتها»؛ أي تأبى الجري إذا أُكرهت عليه، فجعلها حَرُونًا إذا حُرِّكت قامت وأخذ الحميم؛ أي العرق، يتبضع منها؛ أي يتفجر ويسيل. قال أبو هلال في الصناعتين: «وما وصف أحد الفرس بترْك الانبعاث إذا حُركت غير أبي ذؤيب، وإنما توصف بالسرعة في جميع حالاتها إذا حُركت أو لم تُحرَّك، فتُشَبَّه بالكوكب والبرق والحريق والريح إلى آخر ما ذكره.»

وقيل: كان أبو ذؤيب لا يجيد وصف الخيل، فظن أن هذا مما توصف به.

قلنا: وفي الذي أخذوه عليه في البيت الثاني نظر؛ لأنه علق إباءها على الإكراه، والمعروف في صفة الفرس الجواد أنك إذا حركته للعدْو أعطاك ما عنده عفوًا، فإذا أكرهته بساقٍ أو بسوط لتحمله على الزيادة حَمَلَتْه عزة نفسه على ترك العدْو، فهو يقول إنها تأبى بدرَّتها عند إكراهها ولا تأبى العرق، كذا في اللسان وشرح ديوانه.

«ومنه» قول سلمة بن الخرشب:

إذا كان الحزام لقُصْرييه أمامًا حيث يمتسك البريم[١٣]

قال القاضي الجرجاني في الوساطة: «يقول إن الحزام يقرب في جولانه إذا أكثر من عدوه، فيصير أمام القصريين، قال الأصمعي: أخطأ في الوصف؛ لأن خيرَ جَرْيِ الإناث الخضوع، وإنما يختار الإشراف في جري الذكور، فإذا اختضعت تقدم الحزام، كما قال بشر بن أبي خازم:

تسوَّق للحزام بمرفقيها يسد خواء طبييها الغبار[١٤]

---

[١٣] القصريان: ضلعان تليان التُّرْقُوَتَيْنِ، والرواية في نسخة الوساطة: «لقصرييها» ولا يخفى أنه يذكر فرسًا ذكرًا فالوجه «لقصرييه» وإلا لا يصح الانتقاد، والبريم هنا: خيط تعقد عليه العوذة ويعلق على صدر الفرس. (راجع مادة «جلب» في اللسان، ص٢٦٤).

[١٤] الخواء (بالفتح): الفرجة بين رجلي الفرس، ويقال أيضًا دخل فلان في خواء فرسه: يعني ما بين يديه ورجليه، والطبْي (بضم الأول وكسره وبسكون الثاني): حلمة الضرع.

وقد ساعد متمم بن نويرة على هذا الوصف سلمة، فقال:

وكأنه فوق الحبائل جائبًا ريم تضايقه كلاب أخضع[١٥]

فوصف الذكر بالخضوع، وإنما يختار له الإشراف.» انتهى.
«ومنه» قول عديٍّ بن زيد في صفة فرس:

فصاف يفرِّي جُلَّه عن سراته يبذ الجياد فارهًا متتايعا[١٦]

أي: صاف هذا الفرس يشق جُله عن ظهره من السمن، قالوا: وقد أخطأ في قوله «فارهًا»؛ لأنه لا يقال للفرس: فاره، وإنما يقال له: جواد وكريم وعتيق، وأما الفاره فالكَوْدَن والحمار والبغل، وفي لسان العرب: «زعم أبو حاتم أنَّ عَدِيًّا لم يكن له بصر بالخيل، وقد خُطِّئَ عديٌّ في ذلك.» ووقفت في نبذة عندي مخطوطة منقولة من الفوائد النجفية لسليمان بن عبد الله البحراني، على نُقُول من كتاب لحن العامة لأبي حاتم السجستاني، منها قوله: «ويقال: فرس رائع، ولا يقال: فاره، الفاره للحمار والكلب، وفي شعر عديٍّ «فارهًا متتايعًا»، فسألت الأصمعي عنه، فقال: لم يكن صاحبَ خيل، قلت: فيقال: بِرْذَوْنٌ فَارِهٌ، فقال: لعله، ولعله يقال في البختي.»
وممن أخطأ بوضع الغلظ موضع الدقة كعب بن زهير في قوله يصف الناقة:

ضخم مقلَّدها عبل مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

فقد عد أبو هلال في الصناعتين قوله: «ضخم مقلدها» من خطأ الوصف؛ لأن النجائب توصف بدقة المذبح، وهو قول غيره من الأئمة أيضًا.

---

[١٥] الأخضع: المطأطئ الرأس، وهو صفة للريم، وجاء في حواشي نسخة الوساطة: «وفي نسخة ثانية: فوق الجوالب، بدل فوق الحبائل»، وليحقق هذا الشطر.

[١٦] رواية «جله» هي المذكورة في مادة «فره» من اللسان، وفي كتب الأدب كالعقد وغيره، وروي «جلده» في مادة «فرا» من اللسان، وفسره بأنه صافٍ يكاد يشق جلده عما تحته من السمن، والتتايع: الإسراع.

ومثله قول الشمَّاخ في ناقته:

فنِعْمَ المُعْتَرَى ركدت إليه   رحا حيزومها كَرَحَا الطحين[١٧]

الحيزوم: الصدر، والرحا الأولى: الكركرة، وهي ما يمسُّ الأرض من صدر البعير إذا برك، شبهها في العِظَم بالرحا التي يُطحن بها، قال المرزباني في الموشح: «وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة، ولطف الخف.» وذكر ابن رشيق في العمدة أن الأصمعي خطَّأه في هذا؛ لأنه ظنه يصفها بالكبر، وهو عيب لا محالة، وإنما وصفها بالصلابة لا غير، وفي الصناعتين لأبي هلال: «وقال من احتج للشمَّاخ إنما شبهها بالرَّحَا لصلابتها، كما قال:

قلائص يطحنَّ الحصا بالكراكر»

وأخطأ أبو النجم في وصفه بالقِصَر ما يوصف بالسبوطة، فقال في البعير:

أخنس في مثل الكظام مخطمه

الأخنس: القصير الأنف، والمخطم: الأنف، يقول كأن أنفه لقصره مشدود بحبل. قال أبو هلال: إنه من خطأ الوصف؛ لأن المَشَافر إنما توصف بالسبوطة.

ومِنْ وَضْعِ الشيء في غير مَوْضِعه قول المُتَلمِّس:[١٨]

وقد أتناسى الهم عند احتضاره   بناجٍ عليه الصَّيْعَرية مكدم

الناجي هنا: البعير السريع، والصيعرية: سمة للإناث خاصة توسم بها الناقة في عنقها، وهو وسم لأهل اليمن، فأخطأ المتلمس في جعلها للفحول، وسمعه طرفة بن العبد،

---

[١٧] المُعتَرَى بصيغة اسم المفعول: المقصود طلبًا لمعروفه، وركدت: سكنت وهدأت.

[١٨] نسبه المرزباني في الموشح للمسيب بن علي، وذكر أن قصة طَرَفَة كانت معه، ومثله في الموازنة للآمدي، واللسان، وسر الفصاحة، ونُسب للمتلمس في الصناعتين، وطبقات الشعراء لابن قتيبة، والعقد الفريد، وما يجوز للشاعر في الضرورة للتميمي.

وهو صبي، ينشد هذا البيت، فقال: «اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ»؛ أي صار ناقة، فضحك الناس وسار قوله مثلًا.

وقال لبيد:

ولقد أعوص بالخصم وقد أملأ الجفنة من شحم القلل

أعوص به؛ أي ألوي عليه أمره، والقلل: جمع قلة، وهي أعلى السنام. قال أبو هلال والمرزباني: أراد السنام ولا يُسمى السنام شحمًا.

ومن الخطأ في المعاني ما رواه المرزباني في الموشح، قال: قال الأصمعي قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني، فلما بلغت قوله:

مقذوفة بدَخِيس النحض بازلُها له صريف صريف القَعْو بالمَسَد[١٩]

قال لي: ما أضرَّ عليه في ناقته ما وصف! فقلت له: وكيف؟ قال: لأن صريف الفحول من النشاط، وصريف الإناث من الإعياء والضجر، كذا تكلمت العرب، فرآني بسكوتي مستزيدًا، فقال: ألم تسمع قول ربيعة بن مقروم الضبي:

كِناز البضيع جُماليَّة إذا ما بغمن تراها كَتُوما[٢٠]

وكما قال الأعشى:

كتوم الرُّغاء إذا هَجَّرت وكانت بقيَّة ذَوْد كُتُم[٢١]

[١٩] دخيس النحض: اللحم الكثير المكتنز، يريد أنها ناقة سمينة، وقوله: بازلها؛ أي نَابُهَا له صوت كصوت القعو بالمسد؛ أي البكرة بالحبل.

[٢٠] معناه: أنها ناقة كثيرة اللحم تشبه في خلقها الجمال تراها لا تبغم إذا بغمت النوق من الإعياء.

[٢١] هجَّرت: سارت في الهاجرة، والذود: النوق ما بين الثلاث إلى العشر على الأشهَر، ومثله قول الآخر:

كتوم الهواجر ما تَنْبِس

وكما قال الأعشى أيضًا:

والمكاكيك والصحاف من الفضَّة والضامزات تحت الرحال[٢٢]

انتهى. قلنا: والنصوص اللغوية التي وقفنا عليها تؤيد ما ذهب إليه ابن العلاء، وهو ما حكاه أيضًا الوزير أبو بكر البطليوسي في شرح ديوان النابغة، غير أنه ذكر قولًا آخر عن أبي زيد، بأن الصريف يكون في الإناث والفحول من النشاط ومن الإعياء، قال: والبيت لا يحتمل أن يكون إلا من النشاط، ثم نقل قولًا آخر عن القُتَبِيِّ بأن الناس يغلطون في مراد النابغة، فيقولون إنه وصفها بذلك لنشاطها، وليس هو كذلك، ولكنه أراد أنَّى تركتها بعد ما كانت فيه من الشدة يصرفْ نابُها، والصريف: إذا كان من الإناث فهو من الإعياء.

«ومنه» قول بَشامة بن الغدير يصف راحلته:

وصدر لها مهيع كالخليف تخال بأن عليه شَلِيلا

أي لها صدر واسع كالطريق في الجبل تخال عليه مسحًا من صوف أو شعر؛ لكثرة ما عليه من الوبر، قال ابن رشيق في العمدة: إن الأصمعي خطَّأه فيه؛ لأن من صفة النجائب قلَّة الوبر.

«ومنه» قول عمر بن لَجأ من أرجوزة وصف فيها إبِلَهُ، فجعلها كالجبال في عظم الخلق، ثم قال في فحلها:

كالظَّرب الأسود من ورائها

وقول الطِّرمَّاح:

قد تجاوزت بهلواعة عبر أسفار كتوم البغام

[٢٢] المكاكيك: مكوك، وهو طاس للشرب أعلاه ضيق ووسطه واسع، والضامزات: التي لا ترغو.

والظَّرب: الجبل الصغير، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إناثه في الخلقة، وقد عابه عليه جرير، فكان أحد الأسباب التي أهاجت الهجاء بينهما، وتفصيل الكلام في ذلك في خزانة البغدادي (١: ٣٦١).

«ومنه» قول طرفة بن العبد في وصف نعجة:

من الزَّمِرات أسبل قادماها   وضـرَّتـهـا مـركَّـنـة دَرُور

الزمرات: القليلات الصوف، وخصَّها بالذكر لأنها أغزر ألبانًا، والقادمان: الخِلفان اللذان في الأمام، ويقال لما وراءهما: الآخران، والمركَّنة: التي لها أركان، والدرور: الكثيرة الدَّرِّ.

يقول: هذه النعجة أسبل خلفاها القادمان، وضرتها مملوءة تدر باللبن، وهذا من الخطأ؛ لأن النعجة ليس لها إلا خلفان، وإنما يصح ذلك في الناقة؛ لأن لها أربعة أخلاف: قادمان وآخران، قال المرزباني في الموشح بعد أن أورد هذا البيت: لا يكون القادمان إلا لما له آخران، وتلك الناقة لها أربعة أخلاف، ومثله قول امرئ القيس:

إذا مُشَّت قوادمها أرنَّت   كأنَّ الحيَّ بينهم نَعِي

انتهى. قلنا: هو من أبياتٍ قالها لما نُهِبَت إبلُه، ووهبه بنو نبهان معزى بدلها، والمعنى: إذا مُسِحَت قوادمها عند الحلب صاحت كما يصيح قومٌ لنَعِيٍّ أتاهم، والخطأ على هذه الرواية كالخطأ في قول طَرَفة؛ لأن المعزى ليس لها إلا خلفان، وهي رواية تفرد بها المرزباني، والمعروف: «إذا مشَّت حوالبها»، ويُروَى: «إذا ما قام حالبها»، وما أحسن ما عزَّى امرؤ القيس به نفسه في ختام هذه الأبيات، فقال:

فتملأ بيتنا أَقِطًا وسمنًا   وحسبك من غنًى شبع وَرِي

ومنه قول رؤبة:

وكُل زَجَّاء سُحام الخَمْل   تبرى له في زعلات خُطْل[٢٣]

الزجاء: النعامة، وسحام الخمل: سوداء الريش، وتبرى: أي تنبري وتتعرض، والزعلات: الخطل النشيطات المضطربات، يقول: هذه الإناث من النعام تنبري وتتعرض للظليم — أي ذكرها — وهي في طائفة من نوعها نشيطات مضطربات بالتلوي والتبختر، قال أبو هلال وابن عبد ربه وابن قتيبة: أخطأ في جعله للظليم عدة إناث كما يكون للحمار، وليس للظليم إلا أنثى واحدة.

«ومنه» قول ذي الرمة يصف حُمُرًا وحشية:

فأقبل الحُقْب والأكباد ناشزة   فوق الشراسيف من أحشائها تجب
حتى إذا زلجت عن كل حنجرة   إلى الغليل ولم يقصعنه نُغَب
رمى فأخطأ والأقدار غالبة   فانصعن والويل هِجِّيراه والحَرَب

معناه: أقبلت الحُقب — أي الحُمُر — وأكبادها تضطرب خوفًا من الصائد، حتى إذا وردت الماء ودخلت منه نغب إلى أجوافها لم تكسر غليلها، رماها فأخطأها وتفرقت عنه، قال أبو عمرو والأصمعي: وليس هذا من جيِّدِ الوصف؛ لأنها إذا شربت ثقلت وإن كانت لم تَرْوَ، يريدان أن الثقل يقلل نشاطها في العدْو ويمكِّن الصائد منها، فكأنه وصفها بما يفيد عكس ما أراد، وقد أصاب علي بن حمزة البصري في الرد عليهما في التنبيهات بما نصه: وهذا غلط، إنما تثقل إذا رويت، وأما إذا شربت قليلًا فإنه يقويها على العَدْوِ، ولولاه لهلكت عطشًا، وقد زاده شرحًا بقوله في غير هذه الكلمة:

فانصاعت الحقب لم تقصع صرائرها   وقد نشحن فلا ري ولا هيمُ[٢٤]

[٢٣] الزعلات (بالزاي) عن الديوان وشرحه، وورد في بعض الكتب الرعلات (بالراء) ولعلها رواية أخرى، والرعلة: النعامة.

[٢٤] أي ذهبت هذه الحمر الوحشية هاربة بعد أن شربت شربًا قليلًا لم تقطع به عطشها، فهي لا رواء، ولا عطاش.

ولولا صحة ما قال لم يقُلِ العجاج:

حتى إذا ما بلَّت الأغمارا ريًّا ولمَّا تقصع الأصرارا
أجلى نفارًا وانتحت نفارا

انتهى، ومنه قول رؤبة:

كنتم كمن أدخل في جُحْرٍ يدا فأخطأ الأفعى ولاقى الأسودا

يريد: نجوتم من شرٍّ فوقعتم في أشد منه، قالوا: وقد أخطأ في ظنه الأفعى دون الأسود، وهي أشد مضرة ونكاية منه.

ومما خطَّئوا فيه المسيب بن علس قوله:

وكأن غاربها رباوة مَخْرِم وتمدُّ ثني جديلها بشراع

أراد وصف هذه الناقة بطول العنق وتشبيهه بالدقل،[٢٥] وهو خشبة طويلة تُشد في وسط السفينة يُمد عليها الشراع، فقال: كأن زمامها ممدود بشراع لطول عنقها، فأخذوا عليه ذكره الشراع بدل الدقل، وقال بعضهم: إنما أراد بالشراع: الدقل؛ إذ كان الشراع منوطًا به، ومثله لا يعد خطأ، ولمن يريد أن يخطئه من وجه آخر أن يقول: أراد أن يمدحها فذمَّها؛ لأن طول العنق في الإبل هجنة عند أبي عمرو والأصمعي، وكانا يعيبان على رؤبة قوله في وصف بعير:

عن دوسري بَتع ململمْ في جسم خدل صلهبيٍّ عَمَمُهْ[٢٦]

غير أن علي بن حمزة البصري خطَّأهما في هذا الزعم، فقال في التنبيهات: «قولهما: طول العنق هجنة، رد على كلام العرب المأثور وشعرهم المشهور، لا على رؤبة وحده،

[٢٥] الدَّقَل (بفتحتين): هو ما يسمى عند الملاحين بالصاري على ما في اللسان.

[٢٦] جمل دوسري: قوي ضخم ذو هامة ومناكب، وبتع الململم: أي طويل العنق مع شدة مغرزه، والخدل: العظيم الممتلئ، والصلهبي: الشديد، وعممه: أي تامه.

وهذا سبيلٌ مَنْ رَكِبَه ضُلِّل، ومن نصره جُهِّل.» ثم أورد قول من قال: «أبين الإبل عتقًا أطولها عنقًا»، وساق عشرين شاهدًا من كلام العرب تُفَنِّد ما ذهبا إليه.

«ومنه» قول أيمن بن خُرَيم[٢٧] يمدح بشر بن مروان:

وإنـا قـد رأيـنـا أم بِـشـر كأمِّ الأُسْد مِذْكارًا وَلُودَا[٢٨]

قالوا: أخطأ في أن جعل أمَّ الأسد وَلُودًا؛ لأن الحيوانات الكريمة عسرة نزرة النتاج، والصواب قول كُثَيِّر:

بُغاث الطير أكثرها فراخًا وأم الصقر مِقلات نَزُور

كذا في الموازنة والصناعتين، وهو المعروف المشهور.

ومثله ما أنشده صاحب اللسان في مادة «قلت» لبعضهم:

لـنـا أمٌّ بـهـا قَلْتٌ ونـزر كأمِّ الأُسْدِ كاتمة الشَّكاة

ومنه قول العَجَّاج يصف بعيره:

كـأن عـيـنـيـه مـن الـغـئـور قَلْتـانِ أو حـوجـلـتـا قـارور
صيَّرتا بالنضح والتصبير صلاصلَ الزيت إلى الشطور

القلت (بفتحٍ فسكون): النقرة في الجبل تمسك بالماء، والحوجلة: القارورة، والصلاصل هنا: بقايا الزيت، شبَّه عينيه حين غارتا بقارورتين بقي ما فيهما من الزيت إلى نصفيهما بسبب النضح، قالوا: وقد أخطأ؛ لأنه جعل الزُّجَاج ينضح ويرشح، وإنما تنضح الجِرَار ونحوها.

---

[٢٧] بالراء مُصَغَّرًا.

[٢٨] رواية قُدَامة في نقد الشعر: «وإنا قد وجدنا.»

«ومنه» قول يزيد بن محمد المهلَّبي من أرجوزة:

حتى إذا السرب انبرى فاجتهدا   حطَّت عليهن البُزاة مددا
تجمع منها كل ما تبدَّدا   تصيد بحرًا وتصيد جَدَدا
من كل ما أحببتَ أن تَصَيَّدا   سمكةً أو طائرًا أو أسدا

قال المرزباني في الموشح: «قال محمد: أحال في هذا البيت لأنه ذكر البزاة، وليس السمك من صيد البزاة.»

«ومنه» قول حُمَيْد بن ثَوْرٍ:[٢٩]

لما تخايلت الحمول حسبتها   دومًا بأيلة ناعمًا مكموما[٣٠]

والتكميم لا يكون إلا في النخل، وهو أن تجعل الكبائس في أكمَّة تصونها، كما تجعل عناقيد الكرْم في الأغطية كما في المخصَّص، ولم يكن هذا العربي يجهل النخل والدوم، ولكنه لما رآهم يكمُّون النخل ورأى الدوم يشبهه ظن أنه يُكَمُّ مثله لجهله بالغرس وتعهُّد أنواع الغراس، قال التميمي في ما يجوز للشاعر في الضرورة: ومن يحتج له يرويه: «نخلًا».

وفي معناه قول النابغة الجعدي:

كأنَّ تواليَها بالضحى   نواعم جَعْل من الأثْأَب[٣١]

وقد أخطأ فيه أيضًا ولكن من وجه آخر؛ لأنه شبه المطيَّ بصغار النخل، والوجه أن توصف بالكبر والعظم كما فعل حميد، قال القاضي الجرجاني في الوساطة: «والجعل: صغار النخل، وإنما المراد الكبار، وبه يصح الوصف فيما زعموا.» انتهى.

[٢٩] كذا في «ما يجوز للشاعر في الضرورة»، ونسبه في العقد الفريد لأبي الطمحان القيني.
[٣٠] أيلة (بالتحتية): مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وفي بعض الروايات في البيت: «أثلة» بالمثلثة، وهو موضع قرب المدينة، وتطلق أيضًا على قرية بالجانب الغربي من بغداد.
[٣١] توالي الخيل والإبل: مآخرها، وكذلك توالي كل شيء، والأثأب: ضرب من الشجر.

وفي طبقات الشعراء لابن قتيبة: أن الذي أُخِذَ عليه فيه جَعْلُه الجَعْل من الأثأب، قال: «ولا أراه إلا صحيحًا على التشبيه، كأنه أراد نواعم أثأب كالجعل، وقد تسمِّي العرب الشيء باسم الشيء إذا كان له مشبهًا، ولعل الأثأب أن تكون تسمَّى أفناؤه[٣٢] جَعْلًا، كما تسمى أفناء النخل وقصاره جعلًا.» انتهى، ولا يخلو من نظر.

ومنه قول المرَّار بن مُنقذ يصف نخلًا:

كأن فروعها في كل ريح جوارٍ بالذوائب ينتصينا

يريد: كأن هذه النخل إذا أمالتها الريح وتلاقى سعفها جوارٍ يتنازعن ويتبارين بأن تأخذ الواحدة بناصية الأخرى، فذهب أبو عمرو والأصمعي إلى أن المرَّار لم يكن له علم بالنخل في وصفها بتقارب النبتات؛ لأن أفضل الغرس ما بُوعد بينه، ومما وضعته العرب على ألسنة الأشياء قول النخلة للأخرى:

أَبْعِدي ظِلِّي من ظِلِّكِ أَحْمِلْ حَمْلِي وحَمْلَكِ

وتبعهما أبو حنيفة الدينوري في كتاب النبات، فقال في تفسير هذا البيت: هذا من التقارب، حتى ينال سعف بعضه سعف بعض، وذلك هو الحَصَر؛ أي التضايق، ورد عليهم علي بن حمزة البصري في التنبيهات بكلام طويل خلاصته: أن الحَصَر تقارب ما بين الأصول وهو مذموم، وخطَّأهم في زعمهم أن النخيل يتناصى من الحَصَر؛ لأن سبيله أن يباعد بين غرسه، ولكن من جَيِّدِ نعته أن يمتد جريده ويكثر خوصه ويتصل بعضه ببعض حتى لا تُرى منه الشمس، ويمنع الطير من أن تشقه، وأن ما روي عن الأصمعي على لسان النخلة نقله عنه أبو حنيفة، وهو مخالف لما نقله عنه أبو حاتم، فقال: «قال الأصمعي: في مَثَلٍ للفرس والنبط: تقول النخلة لأختها: تباعدي عني، وأنا أحمل حملك وحملي.» أي فلم يذكر فيه تباعد الظل، ثم صوب قول المرَّار وقال: لا شيء أحسن من هذا الوصف للنخل، واستشهد على صحة كلامه بقول ذكوان العجلي:

---

[٣٢] كذا بالنسخة، ولعل الصواب: (أفتاء) بالمثناة الفوقية، جمع الفتي من الحيوان، وتوسع هنا فأطلقه على النبات.

نواضرَ غُلْبًا قد تدانت رءوسها   من النبت حتى ما يطير غرابها[٣٣]
ترى الباسقات العمَّ منها كأنها   ظعائن مضروب عليها قبابها[٣٤]
بعيدة بين الزرع لا ذات حشوة   قصار ولا صعل سريع ذهابها

«ومنه» قول أوس بن حجر:

كأن ريقتها بعد الكرى اعتبقت   من ماء أدكن في الحانوت نضَّاح[٣٥]
ومن مشعشة كالمسك تشربها   أو من أنابيب رمان وتفاح

قال أبو هلال في الصناعتين: «ظن أن الرمان والتفاح في أنابيب، وقيل إن الأنابيب الطرائق التي في الرمان، وإذا حُمل على هذا الوجه صحَّ المعنى.»

«ومنه» قول بعضهم في وصف سيف:

وأبيض أُخْلِصَ من ماء اليَلَبْ

قال ابن مُنقذ في كتاب البديع: «والسيوف لا تُعمَل من ماء اليلب؛ لأن اليلب جلود تُتخذ منها دروع منسوجة، فتوهم الشاعر أنها حديد.» ورواه القاضي الجرجاني في الوساطة: «ومحور» بدل «وأبيض»، ولعل المراد الحديدة التي تدور عليها البكرة، وقد خطَّأه فيها أيضًا، فقال: «جعل اليلب حديدًا وهي سيور.»

قلنا: هما تابعان في ذلك لابن دُرَيْد؛ لأن اليلب ليس عنده الحديد، وذهب غيره إلى أنه الحديد، وفسره به في قول عمرو بن كلثوم:

علينا البَيْض واليلب اليماني   وأسياف يقمن وينحنينا

[٣٣] الغُلْب: جمع غلباء، وهي الحديقة المتكاثفة الملتفة.

[٣٤] العم من النخل: التامة في طولها والتفافها.

[٣٥] أي من خَمْرِ دَنٍّ أدكن اللون.

وعلى هذا فلا خطأ، ولكنَّ ابن السِّكِّيت خطَّأ الراجز من وجه آخر، فقال بعد ذكره لبيت ابن كلثوم: سمعه بعض الأعراب فظن أن اليلب أجود الحديد، فقال: «ومحور أخلص من ماء اليلب»، وهو خطأ، إنما قاله على التوهم. انتهى.

ومنه قول زهير:

يحيل في جدول تحبو ضفادعه حبوَ الجواري ترى في مائه نُطُقا[٣٦]
يخرجن من شربات ماؤها طَحِل على الجذوع يخفن الغم والغرقا[٣٧]

ففي العقد، والوساطة، والموشح، وسر الفصاحة، والموازنة، والصناعتين، وطبقات الشعراء لابن قتيبة: أنه أخطأ في ظنه أن الضفادع تخرج من الماء مخافة الغم والغرق، وإنما تخرج لتبيض وتفرخ في الشطوط، وقال الأعلم في شرحه لديوان زهير: «قوله: يخفن الغم والغرقا، توهم أن خروج الضفادع مخافة الغرق فغلط، ويقال: إنما قال ذلك ليخبر بكثرة الماء وانتهائه، فأشار إلى ذلك بذكره الغرق، وإن كانت لا تخاف ذلك.» ونحوه في العمدة لابن رشيق، وخلاصة ما قال: إنه لم يُرِدْ أنها تخاف الغرق على الحقيقة، وإنما أراد المبالغة في كثرة ماء هذه الشربات، واقتدى فيه بقول أوس بن حجر:

فباكرن جونًا للعلاجيم فوقه مجالس غرق لا يُحَلَّأ ناهلُه[٣٨]

ومما أخذوه على طرفة قوله في وصف ناقته:

وأتلع نهَّاض إذا صعَّدت به كسُكَّان بوصيٍّ بدجلة مُصْعِد

أراد: لها عنق أتلع؛ أي طويل يرتفع إذا أشخصَتْه في سيرها، فهو كسكان سفينة مصعدة في دجلة، والسُّكَّان (بضم الأول وتشديد الكاف): ذَنَب السفينة الذي يُقوَّم به سيرها ويُعدَّل، ويقال له أيضًا: الخيزرانة والكوثل، وتسميه العامة بمصر الآن (الدفة)،

---

[٣٦] النُّطُق: الطرائق التي تعلو الماء.
[٣٧] الشربات: جمع شَرَبة (بفتحتين) وهي كالحُوَيض يُحفر حول النخلة والشجرة، ويُملأ ماء لتروى منه.
[٣٨] العلاجيم هنا: الضفادع، واحدها علجوم، وحلأه عن الماء: طرده ومنعه.

فذهب القاضي الجرجاني في الوساطة إلى أنه أخطأ؛ لأنه أراد تشبيه عنقها بالدَّقَل: أي خشبة الشراع، فذكر بدله السكان.

قلنا: ولا ريب في خطئه إذا كان أراد ذلك، غير أن البيت يحتمل وجهين آخرين لا خطأ فيهما؛ أحدهما: أن يكون شبَّهه بالسكان نفسه؛ أي الذَّنَب لا الدقل، وهو ما يؤخذ من معاجم اللغة وشروح المعلقات التي بأيدينا، والثاني: أن يكون شبهه بالسكان مُريدًا به شيئًا آخر غير الذَّنَب، وهو المفهوم من شرح الأعلم الشَّنْتَمَرِي لديوان طَرَفة؛ فقد فسَّر السكان في هذا البيت بعود المركب، والمتبادر أنه يريد بالعود شيئًا كالدقل؛ أي «الصاري»، وهو تفسير كاد يتفرد به، ولم نقف على ما يماثله سوى في قول علي بن حمزة في التنبيهات: «شبه عنقها بسكان سفينة من سفن دجلة، وربما كان أطول من الدقل، وشر أحواله أن يكون بطول الدقل.» انتهى. فدل بقوله هذا على أنه شيء يشبه الدقل ولكنه أطول منه، وقد يكون بطوله في أقل حالاته، ولا يخفى أن الذَّنَب له طرف قائم، ولكنه لا يبلغ في حال من الأحوال مثل هذا الطول، فلا ريب في أن المراد بالسكان في هذا القول شيء غيره، ولعله العود الطويل الذي يُمد عليه الشراع ثم يناط معترضًا بالدقل، وتسميه العامة بمصر: «القَرْية»، فإنها تكون عادة أطول من «الصاري»، وهي مُحرَّفة عن «القَرِيَّة» بفتحٍ فكسرٍ وتشديد الياء، وقد فُسرت في اللغة بعود الشراع الذي في عرضه من أعلاه، غير أننا لم نرَ من نصَّ على تسمية هذا العود بالسكان أيضًا، فليُحقَّق.

«ومنه» قول عنترة:

وخلا الذباب بها فليس ببارح　　غَرِدًا كفعل الشارب المترنِّم
هَزِجًا يحكُّ ذراعه بذراعه　　قَدْحَ المكبِّ على الزناد الأجذم

أي إن الذباب يصوره حال حكِّه إحدى ذراعيه بالأخرى مثل قدح رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح الزناد، وجاء في مجلة البيان للعلامة اليازجي أن صوت البعوض والذباب والنحل وأشباهها يحدث من اهتزاز أجنحتها في الهواء على حد ما يكون من أجنحة الحمام، وعلى هذا ففي قول عنترة تناقض ظاهر؛ لأنه لا يمكن أن يحك الذباب إحدى ذراعيه بالأخرى إلا وهو واقع، ومتى كان واقعًا تكون أجنحته ساكنة فلا يمكن أن يصوِّت، ولكن عنترة توهَّم أن صوته من حنجرته فلم يمتنع عنده الجمع بين هاتين الحالتين. انتهى بمعناه وأكثر لفظه.

القسم الثالث

ومن أسباب الوهم في المعاني استهواء المبالغة للشاعر، وتجاوزها به حدًّا إذا تعداه عكس عليه مقصده، كما فعل امرؤ القيس لَمَّا أراد المبالغة في وصف ذَنَبِ فرسه بالطول، فقال:

لها ذَنَبٌ مثل ذيل العروس تسدُّ به فرجها من دُبُرْ

يريد بالفرج: الفضاء الذي بين الرجلين، وإذا كان الذَّنَب كثيفًا طويلًا سد هذا الفضاء حتى لا يبين، وطول الذنب مستحب في الخيل، ومن دلائل عتقها وكرمها، ولكن إلى حدٍّ ألا يكون كذيل العروس يُجَرُّ على الأرض؛ لأنه إذا بلغ الأرض وَطِئَه الفرس برجله، وربما عثر به، وهو عيب، وتبعه في ذلك من المولِّدين البحتري، فقال:

ذَنَب كما سُحِبَ الرداء يذبُّ عن عُرْفٍ وعرف كالقناع المسبل

والجيد من ذلك قول امرئ القيس في المعلقة:

ضليع إذا استدبرته سدَّ فرجه بضافٍ فويق الأرض ليس بأعزل

فوصفه بالطول إلا أنه جعله فويق الأرض فلم يقع فيما وقع فيه في بيته المتقدم، أما كونه أراد في ذلك البيت بذيل العروس الطول المذموم، فهو ما ذهب إليه ابن سنان في سر الفصاحة وعابه عليه، وقال ابن رشيق في العمدة: «أراد طوله؛ لأن العروس تجر ذيلها إما من الحياء، أو من الخيلاء.» ومن يحتج له يقول إنما أراد بهذا الوصف الكثافة

والطول الممدوح، وهو رأي الآمدي، ونص عبارته في الموازنة:[1] «وما أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا؛ لأن العروس وإن كانت تسحب ذيلها، وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض عيبًا، فليس بمنكر أن يُشبَّه به الذَّنَب، وإن لم يبلغ أن يمس الأرض؛ لأن الشيء إنما يُشَبَّه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من معناه، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به، وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط، وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة، ألا تراه قال: «تسد به فرجها من دبر؟» وقد يكون الذنب طويلًا يكاد يمس الأرض ولا يكون كثيفًا، بل يكون رقيقًا نزر الشعر خفيفًا فلا يسد فرج الفرس، فلما قال: «تسد به فرجها.» علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة، وكان في الطول قريبًا منه، فالتشبيه صحيح، وليس ذلك بموجب للعيب، ولا أن يكون ذنب الفرس من أجل تشبيهه بالذيل مما يُحكم به على الشاعر أيضًا أنه قصد إلى أن الفرس يسحبه على الأرض، وإنما العيب في قول البحتري: «ذنب كما سحب الرداء.» فأفصح بأَنَّ الفرس يسحب ذنبه.

ومثل قول امرئ القيس قول خداش بن زهير:

لها ذَنَب مثل ذيل الهَدِيِّ إلى جؤجؤ أَيَّد الزافر

والهَدِي: العروس التي تُهدى إلى زوجها، والأَيَّد: الشديد، والزافر: الصدر؛ لأنها تزفر منه، فإنما أراد بذيل العروس طوله وسبوغه، فشبه الذنب السابغ به وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمس الأرض.» انتهى كلام الآمدي.

ولم يكتفِ امرؤ القيس بأن جَعَل ذَنَب فرسه يجر على الأرض — إن صح أنه أراد ذلك — حتى أبرز لنا وجه هذه الفرس مُجَلَّلًا بشعر الناصية لا تكاد تبصر منه الطريق، فقال:

وأركب في الروع خيفانة على وجهها سَعَفٌ منتشر[2]

[1] نقلها عنه البغدادي في الخزانة (٤: ٢١) ووقعت في كلتا النسختين أغلاط، فأثبتنا ما صح من العبارتين.

[2] في نسخة الوساطة: «شعر منتشر.»

وكأنه خشي أن يُظن بها السَّفَى، وهو خفة الناصية، فوصف شعرها بالطول والكثرة، وحملته المبالغة على جعله كالسعف على وجهها، وقد عاب عليه هذا الوصف شارح ديوانه الوزير البطليوسي، وأبو هلال في الصناعتين، وابن سنان في سر الفصاحة، والجرجاني في الوساطة، والمرزباني في الموشح، وروى الآمدي في الموازنة عن أبي حاتم عن الأصمعي ما نصه: «شبه شعر الناصية بسعف النخلة، والشعر إذا غطى العين لم يكن الفرس كريمًا، وذلك هو الغمم، والذي يُحمد من النواصي[3] الجَثْلة، وهي التي لم تفرط في الكثرة، فتكون الفرس غمَّاء، والغمم مكروه، ولم تفرط في الخفة فتكون سفواء، والسَّفَى أيضًا مكروه في الخيل.» انتهى.

قلنا: ومنه يعلم ما في قول البحتري في بيته المتقدم: «وعرف كالقناع المسبل»، وعندنا أنه أشد تغلغلًا في الخطأ من وصف امرئ القيس.

وكأننا بالطرماح أشفق أن يكون ذَنَب ناقته دون ذنب فرس امرئ القيس، ولم يفطن إلى أن طول الذنب في الإبل غير مستحسن، فقال:

تمسح الأرض بمُعْنَوْنِس   مثل مئلاة النياح القيام[4]

فأخطأ خطأين كان في غِنًى عنهما، لولا أن المبالغة استدرجته إلى الأول فتمهد له السبيل إلى الثاني.

أما الأول: فجعْلُه الذنب يمسح الأرض، وإذا كان طوله قبيحًا مذمومًا في الإبل فبلوغه إلى هذا الحد أقبح وأدعى إلى الذم.

والثاني: أنه أراد أن يشبهه بثوب يجر، ولم يشأ أن يسلب امرأ القيس ذيل عروسه، فشبهه بخرقة النائحة، وهي لا تجرها على الأرض، ولا تبلغ في الطول أن تصلح لذلك، وإنما هي كالمنديل تمسكها بيدها وتشير بها إذا قامت تنوح.

[3] في الأصل: «في الناصية»، ومعنى الجثل من الشعر: الكثير الملتف، أو ما غلظ منه وقصر.

[4] المُعنونس: الذَّنَب الطويل، والمئلاة: خرقة تمسكها النائحة بيدها إذا قامت للنياحة.

هذا تفسيرُ ما أَجْمَلَهُ المرزباني في الموشح عن هذا البيت بقوله: «أفصح بأن الذنب يمس الأرض، وأساء في التشبيه أيضًا.» وتبعه البحتري، ولكنه اقتصد هذه المرة في الطول، فقال:

سيحمل همي عن قريب وهمتي　　قرى كل ذَيَّال جلال جلنفع

أي سيحمل همي وهمتي ظهر كل جمل طويل الذَّنَب غليظ شديد، قال أبو العلاء المعري في عبث الوليد: «وصْفه الجمل بذيَّال قلما يُستعمل، إنما يوصف بذلك الفرس والثور الوحشي.»

وكما أن طول الذنب غير ممدوح في الإبل، فإن كثرة شعره غير ممدوح أيضًا في نجائبها، وقد جمعهما طرفة لناقته، فقال:

كأَنَّ جَناحَيْ مَضْرَحيٍّ تَكَنَّفَا　　حِفَافَيْه شُكَّا في العَسِيب بِمِسْرَدِ

أي كأن جناحي نسر عتيق عظيم تكنَّفا جانبي هذا الذنب، وشُكَّا في عظمه بِمِخْصَف، قال المرزباني في الموشح: «إنما توصف النجائب برقة شعر الذنب وخفته، وجعله هذا كثيفًا طويلًا عريضًا.» ومثله في الصناعتين لأبي هلال، وقال التبريزي في شرح المعلقات: «قال الأصمعي: يستحب من المهاريِّ أن تقصر أذنابها، وقلما ترى مهريًّا إلا ورأيت ذنبه أعصل كأنه أفعى.» إلا أنه قال بعد ذلك: «وقال غيره: كل الفحول من الشعراء وصفوا الأذناب بكثرة الهُلْب، منهم امرؤ القيس وطرفة وعيينة بن مرداس، وغيرهم.»

قلنا: ولا نخالهم فعلوا ذلك إلا للمبالغة فيما كان أولى فيه القصد.

ومن هذا النوع قول ذي الرُّمَّة في ناقته:

تُصغي إذا شدَّها بالكور جانحة　　حتى إذا ما استوى في غرزها تثب

يقول: هي مؤدبة ليست بنفور تميل رأسها لصاحبها كأنها تستمع إذا شدها بالرحل، ثم أراد أن يصفها بالنشاط فجعلها تثب عند وضع رجله في ركابها، وهي مبالغة جعلت نشاطها هوجًا ورعونة، وفي العقد الفريد والموشح أنَّ أعرابيًّا سمعه ينشد هذا البيت، فقال: صُرِعَ — واللهِ — الرجلُ، وقيل: إنه أنشده أبا عمرو بن العلاء فقال له: ما قاله عمك الراعي أحسن مما قلت، وهو:

ولا تعجل المرء قبل الورو ك وهْيَ بركبته أبصر
وهي إذا قام في غرزها كمثل السفينة أو أوقر

فقال ذو الرمة: إن الراعي وصف ناقة ملك، وأنا أصف ناقة سوقة. قال المرزباني في الموشح: «أراد أن يحتال فلم يصنع شيئًا.» وذهب علي بن حمزة البصري في التنبيهات إلى أنه لم يخطئ وأن ما روي عنه من الاعتذار حكاه الأصمعي فكذب فيه، وأن مراد ذي الرمة: حتى إذا ما استوى على ظهرها، وإذا كان كذلك فقد استوى في غرزها، ثم قال: «وأبو عمرو مع عيبه بيتَ ذي الرمة قد أنشد مثله في نوادره، بل هو أشد سرعة من بيت ذي الرمة، وهو:

إذا وضعت في غرزها الرجل أجفلت كما أجفلت بيدانة أم تولب

ثم لم يعب هذا البيت.» انتهى.

ولو قال قائل: ما المانع من أن يكون أكثر ما ذُكر في هذا القسم والذي قبله لم يُرِدْ به قائلوه إلا ذكر الواقع، فما على من كانت ناقته ضخمة المقلَّدِ، أو فرسه مسحوب الذنب على الأرض إذا وصفهما بحقيقة ما فيهما؟

قلنا: لو كانوا أرادوا ذلك لما وجد العلماء سبيلًا إلى تخطئتهم والنعي عليهم، كما فعلوا مع من نهج منهج الحقيقة من الشعراء، وإنما أخذوا على هؤلاء ما أخذوه؛ لأنهم ذكروا أشياء حاولوا وصفها بما يُحمد في نوعها، فتخيلوا لها أحسن ما تُنعت به من النعوت، ولحقهم الخطأ في بعضها لجهلهم بخصائص ما ينعتون، ولو أن رؤبة أراد وصف ذاك الفرس بحقيقة ما فيه لما قال لمن خطَّأه: «أيْ بُنَيَّ لا علم لي بالخيل، ولكن أَدْنِنِي من ذَنَبِ البعير.» كما تقدم.

القسم الرابع

ومن الأوهام في المعاني ما لا يرجع لسبب من الأسباب المتقدمة، فلا يصح عدُّه من أحد أقسامها؛ كأن يصنع الشاعر لفظة في موضع لا تصلح له، لا لجهله بالشيء كما تقدم بل لسهو أو خطأ في تقديره، أو أن يسيء في التعبير إساءة تحيل المعنى وتفسده، إن لم تعكس الغرض المقصود منه، أو أن يأتي بكلام غير متلائم الأجزاء، أو فاسد التقسيم أو التشبيه، أو غير ذلك مما يشبهه ويجري مجراه، وكثيرًا ما تنشأ هذه الأوهام من التساهل، إما لثقة الشاعر بقدرته وبمكانة شعره في النفوس، أو لكلال يلحق طبعه في بعض الأحيان، فيلقي بالكلام على عواهنه في البيت والبيتين من القصيدة، ثم تمنعه تلك الثقة أو الضجر أو ضيق الوقت من إعادة النظر فيما قال.

فمن ذلك قول النابغة الذبياني:

ماضي الجنان أخي صبر إذا نزلت   حرب يُوائل منها كل تنبال

يوائل: يطلب الموئل، وهو الملجأ، والتنبال: القصير أو الجبان، وذِكْرُه هنا مفسد لمعنى البيت، قال أبو هلال: «ليس القصير بأولى بطلب الموئل من الطويل، وإن جعل التنبال الجبان فهو أبعد من الصواب؛ لأن الجبان خائف وَجِلٌ اشتدت الحرب أم سكنت.»

ومثله في الموشح للمرزباني باختلاف في العبارة.

وقال النابغة أيضًا يصف ناقته:[١]

تحيد عن أَسْتَنٍ سود أسافله مشي الإماء الغوادي تحمل الحُزَما

الأستن (بوزن أحمر): شجر إذا نظر الناظر إليه من بُعد شبهه بشخوص الناس، كذا في اللسان، وقال الأعلم الشنتمري في شرح الديوان: «شبه الأستن في سواد أسافله وطوله بإماء سود يحملن الحُزَم، وأوقع التشبيه في اللفظ على المشي؛ لأنه السبب في ظهور أسافلهن وتبيُّن سوادهن، وإنما خص اللواتي تحمل الحزم؛ لأنهن إذا كانت عليهن الحزم مددن أيديهن فكان أطول لهن.» وفي شرح الوزير أبي بكر البطليوسي: «شبه سواد أسافل هذا الشجر وما فوق ذلك من فروعه اليابسة بإماء سود على رءوسهن حطب؛ لأن لون هذا الشجر إذا كان أسفله أسود وأعلاه يابس الأغصان فكأنه حطب على رءوس إماء سود.» والذي عِيب عليه في هذا البيت من فساد المعنى قوله: «الغوادي» لأنَّ الإماء تحمل الحطب بالعشي وهن روائح، وأما إذا غَدَوْنَ إلى الصحراء فإنهن مخفَّات، قالوا: والجيِّد قول التغلبي:

تظل بها رُبْد النعام كأنها إماء تُزَجَّى بالعشيِّ حواطب

وقد شبه النعام بالإماء الحواطب؛ لأن النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت أشبه شيء بماشٍ وعلى ظهره حِمل، وقال أبو هلال في بيت النابغة: «وقد روي: مثل الإماء، وإذا صحت الرواية سلم المعنى.»

قلنا: لم يظهر لنا وجه سلامة المعنى على هذه الرواية؛ لأن أبا هلال لم يَعِبْ عليه قوله: «مشي الإماء»، بل عاب عليه كغيره قوله: «الغوادي»، وتغيير مشي بمثل لا يجعل تلك الإماء روائح حتى يسلم المعنى به، وإنما الذي ينتصر للنابغة يقول: أراد أن الإماء تغدو لتحمل الحطب رواحًا، وقال علي بن حمزة البصري في التنبيهات: «كان أبو عبيدة يقول: لم يقُلْه النابغة إلا عشاء تحمل الحُزَما.»

[١] قال بعضهم: إنه في وصف ثور، ورواه «يحيد».

وقال النابغة أيضًا يصف ثورًا:

من وحش وجرة موشي أكارعه طاوي المصير كسيف الصيقل الفرد

قال أبو هلال: أراد بالفرد أنه مسلول من غمده، فلم يَبِنْ بقوله الفرد عن سلة بيانًا واضحًا، والجيد قول الطرمَّاح وقد أخذه منه:

يبدو وتضمره البلاد كأنه سيف على شرف يُسَلُّ ويُغمد

وهذا غاية في حسن الوصف، ومثله في طبقات الشعراء لابن قتيبة.
ومما خطَّئوا فيه النابغة أيضًا قوله:

ألكني يا عُيَيْن إليك قولًا ستحمله الرواة إليك عني

ألكني: أي كن رسولي وبلِّغ ألوكتي؛ أي: رسالتي، وفسره أبو هلال بأَرْسِلني، فقال منتقدًا البيت: «وليس من الصواب أن يقال أرسِلني إلى نفسك، ثم قال: ستحمله الرواة إليك عني.» وقال الآمدي: «قالوا: ألكني؛ أي كن لي رسولًا، فكيف يكون ألكني إليك عني؟ فاعتذر له الأصمعي، وقال: أهذا مما حملته الرواة عن النابغة؟ كأنه يدفع أن يكون قاله.»

قلنا: من فسره بأرسلني راعى اللفظ فقط، ومن فسره بكن رسولي راعى المعنى، ففي اللسان أن مقتضى لفظ: «ألكني إليها برسالة» أن يكون أرسِلني إليها برسالة، إلا أنه جاء على القلب؛ إذ المعنى: كن رسولي إليها بهذه الرسالة، فاللفظ يقضي بأَنَّ المخاطَب مرسِل، والمتكلِّم مُرسَل، وهو في المعنى بعكس ذلك. انتهى ملخصًا.

والذي أنكره هؤلاء الأئمة أجازه صاحب اللسان، فقال: «وقد يكون المرسَل هو المرسَل إليه، وذلك كقولك: ألكني إليك السلام؛ أي كن رسولي إلى نفسك بالسلام، وعليه قول الشاعر.» ثم استشهد بالبيت[٢] هذا فيما يتعلق بالصدر، وأما إنكارهم قوله بعد ذلك: «ستحمله الرواة إليك عني.» فإن رواية الديوان وشروحه التي بأيدينا: «سأهديه

[٢] روايته له:

إليك إليك عني»، وفسره الأعلم بقوله: أي كُفَّ عني في أمر إخواني بني أسد، وكان عيينة بن حصن سامَ قوم النابغة أن ينقضوا حلف بني أسد فتوعده النابغة بالهجاء والحرب.

ومما عابوه على النابغة قوله:

فإنك كالليل الذي هو مدركي وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسع

فقال المعترضون: تشبيهه الإدراك بالليل يساويه إدراك النهار، فلم خصه دونه وإنما كان سبيله أن يأتي بما ليس له قسيم؟ هذا خلاصة ما قيل في البيت، والكلام فيه كثير حتى عده بعضهم في نقد الشعر من باب العبث، وهو أن يقصد الشاعر شيئًا من الأشياء ليس لذكره فائدة، وقال المعتذرون للنابغة: إنما خص الليل بالذكر؛ لأنه وصفه في حال سخطه فشبهه بالليل وهَوْلِه، وهي كلمة جامعة لمعانٍ كثيرة، وقيل: ذكر الليل لأنه أهول، ولأنه أول، ولأن أكثر أعمالهم كانت فيه لشدة حر بلدهم، فصار ذلك عندهم متعارفًا.

ومما خطئوه فيه قوله:

كأن حِجاج مقلتها قليب من الشِّيقين حلَّق مستقاها

الحِجاج: العظم الذي ينبت عليه شعر الحاجب، والقليب: البئر، والشيقان: موضع، وحلَّق مستقاها: غار ماؤها، والحِجاج لا يوصف بأنه غائر كالقليب، وهذا مما لا يخفى على أحد.

ومن ذلك قول بعضهم:

ونطعنهم حيث الكُلَى بعد ضربهم ببيض المواضي حيث ليِّ العمائم

ألكني يا عتيق إليك قولًا ستهديه الرواة إليك عني

والظاهر أن لفظ: «عتيق» من تحريف النسَّاخ، والصواب: «عيين» لنص الأعلم في شرحه لديوان النابغة على أنه يخاطب عُيَينة بن حِصْن.

أراد هذا الشاعر أن يذكر شجاعتهم ويصف بأسهم في قتال أعدائهم فأتى بما يدل على عكس ما أراد؛ لأنهم إذا ضربوهم بالسيوف مكان ليِّ العمائم: أي في رءوسهم ولم يموتوا، واحتاجوا بعد ذلك إلى طعنهم بالرماح في كلاهم، فقد فعلوا فعل الجبان الخائف غير المتمكن من قتل قرنه، وهذا مما لا يُفتخر به، وإنما الجيد قول بلعاء بن قيس:

غشيته وهو في جأواء باسلة   عضبًا أصاب سَواء الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن مني مخالسة   ولا تعجلْتُها جُبنًا ولا فَرَقا

ومن فاسد التشبيه قول بشر بن أبي خازم:

وجر الرامسات بها ذيولًا   كأن شمالها بعد الدَّبُور
رماد بين أظآر ثلاث   كما وُشم النواشر بالنئور

والشمال والدبور لا تشبهان بالرماد، وإن كان أراد ما تخلَّف من فعل الشمال والدبور فقد أساء التعبير وقصَّر في بيان مراده.

ومن قبيله قوله أيضًا يصف سفينة:

أجالد صفهم ولقد أراني   على زوراء تسجد للرياح
إذا ركبت بصاحبها خليجًا   تذكَّر ما لديه من جُناح
ونحن على جوانبها قعود   نغض الطرف كالإبل القماح

وهو مما عابه عليه ابن قتيبة في طبقات الشعراء؛ لأن معنى غض طرفه: كسره وأطرق ولم يفتح عينيه، والإبل القماح: هي الرافعات رءوسها عن الماء ممتنعة من الشرب، فكيف يشبه المطرق بالرافع رأسه؟ ولكن من يراجع مادة «قمح» في اللسان لا يعدم للكلام مخرجًا.

ومن التشبيهات التي لم تقع موقعها قول ابن هَرْمة:

وإني وتركي ندى الأكرمين   وقد حي بكفي زنادًا شحاحا
كتاركة بيضها بالعراء   وملبسة بيض أخرى جناحا

وقول الفرزدق:[٣]

وإنك إن تهجو تميمًا وترتشي سرابيل قيس أو سحوق العمائم[٤]
كمهريق ماء بالفلاة وغرَّه سحاب أذاعته رياح السمائم

فإن بيت ابن هرمة الثاني يليق ببيت الفرزدق الأول، وبيت الفرزدق الثاني يليق ببيت ابن هرمة الأول، فلو كانا كذلك لكان كل واحد منهما قد شبه تشبيهًا واضحًا صحيحًا، فأمَّا والشعر وما هو عليه فإن التشبيه فيه بعيد، كذا في سر الفصاحة لابن سنان، وعزا صاحب الأغاني هذا النقد لأبي نُواس، فذكر أنه قال: «شاعران قالا بيتين وضعا التشبيه فيهما في غير موضعه، فلو أُخِذَ البيت الثاني من شعر أحدهما فجُعِلَ مع بيت الآخر، وأُخِذَ بيت ذاك فجُعِلَ مع هذا لصار متفقًا معنًى وتشبيهًا.» وقال بعد إيراد المقطوعتين: ولكن ابن هرمة قد تلافى ذلك بعد فقال:

وإنك إذْ أطعمتني منك بالرضا وأيأستني من بعد ذلك بالغضب
كممكنة من ضرعها كفَّ حالب ودافقة من بعد ذلك ما حلب

انتهى. يريد: أنه أتى هنا بتشبيه صحيح، لا أنه أصلح به تشبيهه الأول، فإن هذا غير ذاك.

ومما وهم فيه خُفاف بن نُدْبة قوله:

أبقى لها التعداءُ من عَتَداتها ومتونها كخيوطة الكَتَّان

قال المرزباني: «العتدات:[٥] القوائم، أراد أن قوائمها دقَّت حتى عادت كأنها خيوط، وأراد ضلوعها فقال متونها.»

[٣] كذا في الموشح وسر الفصاحة، وهو الصواب الموافق لما في النقائض، وجاء في الأغاني أن البيتين لجرير (٨:٤٦) من طبعة بولاق.

[٤] رواية الأغاني: «بتأبين قيس.»

[٥] كذا رُسمت الكلمة في نسخة الموشح التي عندنا، ولم نعثر عليها بهذا المعنى، فلتُحَقَّقْ.

ومثله قول ابن أحمر:

غـادرنـي سـهـمـه أعـشـى وغـادره　　　سيف ابن أحمر يشكو الرأس والكبدا

قالوا: أراد غادرني سهمه أعور فلم يمكنه فقال أعشى، وكان ابن أحمر أعور؛ رماه رجل يقال له مخشي بسهم فذهبت عينه.

ومن الأوهام قول القائل:[٦]

يمشي بها كل موشى أكارعه　　　مشي الهرابذ حجوا بِيعة الزُّون

الهرابذة: المجوس، وهم قَوَمَة بيت النار، والزُّون: الصنم، قال أبو هلال: «الغلط في هذا البيت في ثلاثة مواضع؛ أحدها: أن الهرابذ المجوس لا النصارى، والثاني: أن البِيعة للنصارى لا للمجوس، والثالث: أن النصارى لا يعبدون الأصنام ولا المجوس.»

ومما عابه أبو هلال على ذي الرمة قوله:

نغار إذا ما الروع أبدى عن البرى　　　ونقري عبيط اللحم والماء جامس

فقال: «لا يقال ماء جامس، وإنما يقال: وَدَك جامس.» قلنا: هو تابع في ذلك للأصمعي، والجامس: الجامد، يريد أننا نقري في الشتاء، وبعض اللغويين يجيز الجموس في الماء.

وعاب عليه قوله أيضًا:

إذا انجابت الظلماء أضحت رءوسها　　　عليهن من جهد الكرى وهي ظُلَّع

[٦] هو لجرير كما في اللسان، وروايته له:

يمشي بها البقر الموشى أكرعه　　　مشي الهرابذ تبغي بيعة الزون

فعده من عجائب الغلط، ونقل عن ابن فروة أنه قال: قلت لذي الرمة: ما علمت أحدًا من الناس أظلع الرءوس غيرك! فقال: أجل. انتهى.

قلنا: لأن المعروف في الظَّلَع أنه العرج والغمز في المشي، وهذا لا يكون في الرءوس.

وعاب على أبي ذؤيبٍ الهذليُّ قولَه:

فما برحت في الناس حتى تبينت ثقيفًا بزيزاء الأشاء قبابها

الزِّيزاء: (بكسر الأول): الأَكَم، واحدتها: زيزاءة، والأشاء: النخل، قال أبو هلال: «يقول: ما زالت هذه الخمرة في الناس يحفظونها، حتى أتوا بها ثقيفًا. قال الأصمعي: وكيف تحمل الخمرة إلى ثقيف وعندهم العنب!» ومثله في طبقات الشعراء لابن قتيبة.

قلنا: الذي في شرح السكري لديوان أبي ذؤيب أن المعنى: حُمِلَت إلى عكاظ لِتُبَاع، وهي دار ثقيف»، وعليه فلا خطأ إلا أن يكون مراد الشاعر حُمِلَت إلى ثقيف نفسها كما فهم الأصمعي، وتبعه فيه أبو هلال وابن قتيبة.

ومما خطئوا فيه الشمَّاخَ قوله:

وأعددت للساقين والرجل والنسا لجامًا وسرجًا فوق أعوج مختال

قال المرزباني: «وإنما يلجم الشدقان لا الساقان.»

قلنا: لم يقل الشمَّاخ ألجمت الساقين ولا يقوله أحد، وإنما قال: أعددت لهما لجامًا وسرجًا؛ أي ألجمت فرسي وأسرجته ليعدو ويحرك ساقيه إلا أنه لم يحسن التعبير.

ومما استُضْعِفَ من معاني الأعشى قوله:

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالها

المراد بالشاة هنا: المرأة، قال المرزباني: «وقد عابه قوم بذلك؛ لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والكبد يتردد كثيرًا في الشعر عند ذكر الهوى والمحبة والشوق وما يجده المغرم في هذه الأعضاء من الحرارة والكرب، ولم يجدوا الطحال استُعمل في هذه الحال؛ إذ لا صنع له فيها، ولا هو مما يكتسب حرارة وحركة في حزن ولا عشق، ولا بردًا ولا سكونًا في فرح أو ظفر، فاستهجنوا ذكره.»

ومن التناقض قول المسيب بن عَلَس:

فتسلَّ حاجتها إذا هي أعرضت   بخميصة سُرُح اليدين وساع
وكأن قنطرة بموضع كُورها   ملساء بين غوامض الأنساع
وإذا أطفت بها أطفت بكلكل   نَبِض الفرائص مُجْفَر الأضلاع

فوصف الناقة بأنها خميصة؛ أي ضامرة، ثم شبهها بعد ذلك بالقنطرة، والقنطرة لا تكون إلا عظيمة، وأكد ذلك بقوله: «مجفر الأضلاع»، والمجفر: العظيم الجنبَين من كل شيء، فكيف تكون خميصة وهذه صفتها؟!

ومن التناقض قول الحطيئة في ثور وحشي:

حرج يلاوذ بالكناس كأنه   متطوِّف حتى الصباح يدور
حتى إذا ما الصبح شق عموده   وعلاه أسطع لا يرد منير
أوفى على عقد الكثيب كأنه   وسط القداح معقَّب مشهور
وحصى الكثيب بصفحتيه كأنه   خبث الحديد أطارهنَّ الكير

قالوا: زعم أنه بات يطوف حتى أصبح وأشرف على الكثيب، فمن أين صار الحصى بصفحتيه؟! وإنما يلتصق بهما إذا كان راقدًا.

ومنه قول عروة بن أُذَيْنَة:

نزلوا ثلاث منًى بمنزل غبطة   وهم على غرض لعمرك ما هم
متجاورين بغير دار إقامة   لو قد أجدَّ رحيلهم لم يندموا

قال أبو هلال: «فقال: لبثوا في دار غبطة، ثم قال: لو رحلوا لم يندموا.

ومثله قول جرير:

فلم أرَ دارًا مثلها دار غبطة   وملقًى إذا التفَّ الحجيج بمجمع
أقل مقيمًا راضيًا بمقامه   وأكثر جارًا ظاعنًا لم يودَّع

وهل يغتبط عاقل بمكان من لا يرضى به؟!» انتهى.

ومنه قول ابن نوفل:

لأعلاج ثمانية وشيخ كبير السن ذي بصر ضرير

لأن الضرير إنما يستعمل في الأكثر للذي لا بصر له، فقوله في هذا الشيخ إنه ذو بصر وإنه ضرير تناقض، فكأنه يقول إن له بصرًا ولا بصر له، فهو بصير أعمى، كذا في الموشح للمرزباني، ونقد الشعر لقدامة.

قلنا: يطلق الضرير أيضًا على المريض المهزول، وعلى ذي الزَّمَانة إلا أن الأكثر استعماله لفاقد البصر كما قالا، ولا نظن الشاعر أراد غير الضعف وسوء الحال، ولكنه لما استعمله في غير ما يُستعمل فيه في الأكثر أتى بما يوهم الخطأ، والاحتراس من مثله أولى.

ومنه قول يزيد بن مالك:

أكفُّ الجهل عن حلماء قومي وأعرض عن كلام الجاهلينا
إذا رجل تعرض مستخفًّا لنا بالجهل أوشك أن يحينا

قال قدامة: «قد أوجب هذا الشاعر في البيت الأول لنفسه الحلم والإعراض عن الجهَّال، ونفى ذلك بعينه في البيت الثاني بتعديه في معاقبة الجاهل إلى أقصى العقوبات وهو القتل.»

ومما عدوه من التناقض قول زهير:

قف بالديار التي لم يعفها القدم بلى وغيَّرها الأرواح والديم[٧]

فقالوا: نقض في عجُز هذا البيت ما قال في صدره؛ لأنه زعم أن الديار لم يعفها القدم، ثم انتبه من مرقده فقال: بلى، عفاها وغيرها أيضًا الأرواح والديم، وقال أبو عبيدة: أكذب نفسه فقال: لم يعفها، ثم رجع فقال: بلى، ومن يحتج له يقول: مراده أن بعضها عفا وبعضها لم يعفُ، وقيل: بل المراد أن الديار لم تعفُ في عينه من طريق محبته لها وشغفه بمن كان فيها.

[٧] رواه المرزباني في الموشح: «حيِّ الديار.»

ومثله قول امرئ القيس:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها   لما نسجتها من جنوب وشمأل

ثم قوله في بيت آخر:

وإن شفائي عبرة مَهراقة   فهل عند رسم دارس من معوَّل

ومن يذهب إلى عدم التناقض يقول: أراد لم يعفُ رسم حبها من قلبي، والأظهر قول بعضهم: أراد لم يقتصر سبب محوها على نسج الريحين، بل كان له أسباب منها هذا السبب، ومر السنين، وترادف الأمطار وغيرها.

وعد بعضهم من التناقض قوله في موضع:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل   وقد يدرك المجد المؤثل أمثالي

وقوله في كلمة أخرى:

فتملأ بيتنا أِقطًا وسمنًا   وحسبك من غنًى شبعٌ وريٌّ

لأنه وصف نفسه في موضع بسمو الهمة وقلة الرضا بدنيء المعيشة، وأطرى في موضع آخر القناعة، وأخبر عن اكتفاء الإنسان بشبعه وريِّه، وقد رد قدامة على هذا العائب، فقال: «أقول: إنه لو تصفَّح أولًا قول امرئ القيس حق تصفحه لم يجد معنًى ناقَض معنًى، فالمعنيان في الشعرين متفقان إلا أنه زاد في أحدهما زيادة لا تنقض ما في الآخر، وليس أحد ممنوعًا من الاتساع في المعاني التي لا تتناقض، وذلك أنه قال في أحد المعنيين:

فلو أن ما أسعى لأدنى معيشة   كفاني ولم أطلب قليل من المال

وهذا موافق لقوله:

وحسبك من غنًى شبعٌ وريُّ

ولكن في المعنى الأول زيادة ليست بناقضة لشيء، وهو قوله: لكني لست أسعى لما يكفيني ولكن لمجد أؤثله، فالمعنيان اللذان ينبئان عن اكتفاء الإنسان باليسير متوافقان في الشعرين، والزيادة في الشعر الأول التي دل بها على بُعد همته ليست تنقض واحدًا منهما ولا تنسخه، وأرى أنَّ هذا العائب ظنَّ امرأ القيس قال في أحد الشعرين: إن القليل يكفيه، وفي الآخر: لا يكفيه، وقد ظهر بما قلنا أن هذا الشاعر لم يقُلْ شيئًا من ذلك ولا ذهب إليه، ومع ذلك فلو قاله وذهب إليه لم يكن عندي مخطئًا؛ من أجل أنه لم يكن في شرط شرطه يحتاج إلى ألَّا ينقض بعضه بعضًا، ولا في معنًى سلكه في كلمة واحدة أيضًا.»

ومن التناقض على طريق المضاف قول عبد الرحمن بن عبد الله القيسي:

فإني إذا ما الموت حلَّ بنفسها   يزال بنفسي قبل ذلك فأُقبر

قال قدامة: «جمع بين قبل وبعد، وهما من المضاف؛ لأنه لا قبل إلا لبعد، ولا بعد إلا لقبل؛ حيث قال: إنه إذا وقع الموت بها، وهذا القول كأنه شرط وضعه ليكون له جواب يأتي به، وجوابه قوله: يزال بنفسه قبل ذلك، وهذا شبيه بقول قائل: لو قال: إذا انكسرت الجرة، انكسر الكوز قبلها.» وقال أبو هلال: «هذا شبيه بقول قائل: إذا دخل زيد الدار دخل عمرو قبله.»

ومما أخذوه على الأعشى قوله:

شتَّان ما يومي على كورها   ويوم حيَّان أخي جابر

وكان حيان أشهر وأعلى ذكرًا من أخيه جابر، فلم يكن محتاجًا لأن يعرَّف به.

ومن غريب الوهم قول عدي بن زيد:

والمُشرفُ الهنديُّ[٨] يُسقى به　　　أخضر مطموثًا بماء الخريص

المشرف: إناء كانوا يشربون فيه، والمطموث: الممسوس، والخريص: السحاب، ووجه الخطأ وصفه الخمر بالخضرة، وما وصفها بذلك أحد غيره، ولا كانت العرب تعرف هذا اللون للخمر.

ومن قبيله قول المرَّار:

وخالٌ على خديك يبدو كأنه　　　سنا البدر في دعجاء باد دجونها

فوصف الخال بالبياض، والوجه بالسواد، وهو خلاف المتعارف، اللهم إلا أن يكون حكى الواقع، ولو كان كذلك لما عابه عليه أئمة الأدب ونَقَدَةُ الشعر كالمرزباني وأبي هلال وقدامة وغيرهم.

ومما خطَّئوا فيه جريرًا قوله:

لمَّا تذكرت بالديرين أرقني　　　صوت الدجاج وقرع بالنواقيس[٩]

فقالوا: غلط مرتين، فإن الدجاج لا تصيح، وإنما تصيح الديوك، والأرق في أول الليل، والديوك تصيح عند الصباح.

قلنا: الدجاج تطلق على الديوك أيضًا، وإنما الوهم في الثاني، وقد تكلف له بعضهم وجهًا فقال: إنما أراد أرَّقني انتظار صوت الدجاج والنواقيس.

ومن عيوب المعاني أن ينسب الشيء إلى ما ليس منه، كما قال خالد بن صفوان:

فإن صورة راقتك فأخبر فربما　　　أمرَّ مذاق العود والعود أخضر

[٨] في رواية: «المصقول» وفي أخرى: «المشمول» أي الطيب، وفي رواية: «مدامة صرفًا» بدل «أخضر مطموثًا» ولا خطأ على هذه الرواية، والأولى مروية في العقد والصناعتين وسر الفصاحة والموازنة.

[٩] كذا روي في اللسان والموازنة والصناعتين وشرح ديوان جرير، ورواه ابن منقذ في كتاب البديع، والخاصي في درر الدقائق: «وما نزلت بها إلا وأرقني»، ونسباه للفرزدق، والصواب أنه لجرير.

قال قدامة والمرزباني: «كأنه يومئ إلى أن سبيل العود الأخضر في الأكثر أن يكون عذبًا أو غير مُرٍّ، وهذا ليس بواجب؛ لأنه ليس العود الأخضر بطعم من الطعوم أولى منه بالآخر.»

ومن عيوب المعاني قول الحكم الخُضري:

كانت بنو غالب لأُمَّتها كالغيث في كل ساعة يَكِفُ

وليس في المعهود أن يكون الغيث واكفًا في كل ساعة.

ومنها قول الحُطَيْئَة:

ومن يطلب مساعي آل لأي تصعِّده الأمور إلى علاها

قال أبو هلال: «كان ينبغي أن يقول: من طلب مساعيهم عجز عنها وقصَّر دونها، فأما إذا تناهى إلى علاها فأيُّ فخرٍ لهم؟ فإن قيل إنه أراد به يلقى صعوبة، كما يلقى الصاعد من أسفل إلى علو، فالعيب أيضًا لازم له؛ لأنه لم يعبر عنه تعبيرًا مبينًا»، ونحوه في الموشح للمرزباني.

قلنا: البيت على القول الأول أشبه بالهجاء عنه بالمدح؛ لأنه أراد أن يعظم شأنهم، فصغره وحقَّره، وقد وقع الأخطل فيما يشبهه، فإنه أراد مدح سماك الأسدي، وكان قومه يلقبون بالقيون ويُعَيَّرون بذلك، فقال:

قد كنت أحسبه قينًا وأُنْبَؤُهُ فاليوم طيَّر عن أثوابه الشَّرَرُ

أي فاليوم نفى ذلك عن نفسه وذهب عنه هذا اللقب، فنبَّه في مدحه له على شيء يُعَيَّرُ به، وكان له في دروب المادح مُتَّسع، ويُرْوَى أنه لما أنشده سماكًا قال له: أردت أن تمدحني فهجوتني؛ كان الناس يقولون قولًا فحقَّقْتَه.

وأراد الأخطل أن يهجو سويد بن منجوف، فأتى بما يدلُّ على مدحه في قوله:

وما جذع سوء خرَّب السوس أصله لما حمَّلته وائل بمطيق

فجعله لا يطيق ما حمَّلَتْهُ وائلٌ من أمورها، فأثبت له نباهة وسؤددًا، وجعله ممن تُعصب به الحاجات، وفي الأغاني أنه لما هجا سويدًا بهذا الشعر، قال له: يا أبا مالك، ما تحسن تهجو ولا تمدح، لقد أردت مدح الأسديَّ فهجوتَهُ، يعني قوله:

قد كنت أحسبه قينًا وأُنبَؤُه

وأردتَ هجائي فمدحتني، جعلت وائلًا حمَّلتني أمورها، وما طمعتُ في بني تغلب فضلًا عن بكر.

قلنا: وقد سبقه زهير إلى المدح بما يشبه الهجاء في بيت لم نرَ من تنبه لما فيه غير ابن شرف القيرواني، فقال عنه ما نصُّه: «وقال زهير، وهو من أطيب شعره وأملحه عند العامة، وكثير من الخاصة،[١٠] فها هنا تَحَفَّظْ وتأَمَّل، ولا يَهُلْكَ ذلك منهم الحق أبلج، قال:

تراه إذا ما جئته متهللًا كأنك تعطيه الذي أنت سائله

مدح به شريفًا أيَّ شريف، فجعل سروره بقاصده كسروره بمن يدفع شيئًا من عَرَض الدنيا إليه، وليس من صفات النفوس العازفة السامية والهمم الشريفة العالية إظهارُ السرور إلى أن تتهلل وجوههم وتسر نفوسهم بهبة الواهب، ولا شدة الابتهاج بعطية المعطي، بل ذلك عندهم سقوط همة، وصغر نفس.» إلى أن قال: «هذا نقض البناء، ومحض الهجاء، والفضلاء يفخرون بضدِّ هذا.»

(وعابوا) على الفرزدق قوله:

ومن يأمن الحجَّاج والطير تتقي عقوبته إلا ضعيف العزائم

وزعموا أن الحجاج قال له: ما عملت شيئًا؛ إن الطير تتقي الصبي والثوب، وتنفر من الخشبة، ولا نَخَالُ الفرزدق أراد ذلك، وإنما مراده أن القريب والبعيد يتقيه، حتى الطائر في الجو، ولكنه قصَّرَ في البيان.

---

[١٠] في طبقات الشعراء لابن قتيبة أن عبد الملك بن مروان سأل قومًا من الشعراء عن أي بيت أمدح فاتفقوا على بيت زهير هذا.

«ومن عيوب المعاني»: فساد التقسيم، وهو إما أن يكون بالتكرير، كقول هذيل الأشجعي:

فما برحَتْ تومي إليه بطرفها   وتومض أحيانًا إذا خصمها غَفَل

فإن تومي وتومض متساويان، فكأنه قال: ما برحت تومي إليه أحيانًا وتومي أحيانًا، وإما أن يكون بدخول أحد القسمين في الآخر، كقول القائل:

أبادر إهلاك مستهلك   لمالي أو عبث العابث

فإن عبث العابث داخل في إهلاك المستهلك.
ومثله قول أمية بن أبي الصلت:

لله نعمتنا تبارك ربنا   رب الأنام ورب من يتأبَّد

فمن يتأبد: أي يتوحش داخل في الأنام، ولا يجوز أن يكون أراد به الوحش؛ لأن من لا تقع على غير العاقل.
ومنه أن يكون القسمان مما يجوز دخول أحدهما في الآخر، كقول أبي عدي القرشي:

غير ما أن أكون نلت نوالًا   من نداها عفوًا ولا مهنيًّا

فإن العفو قد يكون مهنيًّا، والمهني قد يكون عفوًا، وهو مثل ما حكي أنَّ أَنْوَكَ سأل مرة، فقال: علقمة بن عبدة جاهليٌّ أو من بني تميم؟
ومثله قول عبد الله بن سليم الغامدي:

فهبطت غيثًا ما يفزعُّ وحشه   من بين سرب ناوئ وكنوس[١١]

[١١] المراد بالغيث هنا: الكلأ.

فإن الناوئ؛ أي السمين، يجوز أن يكون كانسًا أو راتعًا، والكانس يجوز أن يكون سمينًا أو هزيلًا، وإما أن يكون بترك ما لا يحتمل الواجب تركه، كقول جرير في بني حنيفة:

صارت حنيفة أثلاثًا فثُلْثُهم   من العبيد وثلث من مواليها

قيل: إن هذا الشعر أُنشد في مجلس، ورجل من بني حنيفة حاضر فيه، فقيل له: من أيهم أنت؟ فقال من الثلث المُلْغَى ذكره.[١٢] انتهى مُلَخَّصًا من نقد الشعر والموشح.

«ومن عيوب المعاني»: الإخلال، قال قدامة والمرزباني: «هو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى؛ مثال ذلك قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود:

أعاذل عاجل ما أشتهي   أحب من الأكثر الرائث[١٣]

فإنما أراد أن يقول: عاجل ما أشتهي مع القِلَّة أحبُّ إليَّ من الأكثر المبطيء، فترك مع القلة وبه يتم المعنى.

ومثل ذلك قول عروة بن الورد:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم   ومقتلهم عند الوغى كان أعذرا

فإنما أراد أن يقول: عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم في السِّلْم، ومقتلهم عند الوغى أعذر، فترك في السلم.

[١٢] للبيت وجه يدفع هذا الاعتراض ذكره البغدادي في خزانته فقال: «أراد جرير بالثلث المتروك أشرافهم، وترك الثالث عمدًا؛ لأنه في مقام الذم لا يثبت لهم أشرافًا صراحة.»

[١٣] رواية قدامة في نقد الشعر:

أعادل عاجل مالي أحب   إليَّ من الأكثر الرائث

ومن هذا الجنس قول الحارث بن حِلِّزة:

والعيش خير في ظلا ل النوك ممن عاش كدًّا

فأراد أن يقول: والعيش خير في ظلال النوك من العيش بكدٍّ في ظلال العقل، فترك شيئًا كثيرًا، وعلى أنه لو قال ذلك لكان في الشعر خلل آخر؛ لأن الذي يظهر أنه أراده هو أن يقول: إن العيش الناعم في ظلال النوك خير من العيش الشاق في ظلال العقل، فأخلَّ بشيء كثير.

ومن هذا الجنس نوع آخر، وهو كما قال بعضهم:

لا يَرْمَضون إذا حرَّت مشافرهم ولا ترى منهم في الطعن ميَّالا
ويفشلون إذا نادى ربيئهم ألا اركبَنَّ فقد آنست أبطالا

الربيء: الطليعة، فأراد أن يقول: ولا يفشلون، فحذف «لا»، فعاد المعنى إلى الضد.» انتهى.

ومن اضطراب المعنى قول أبي دؤاد الإيادي:

لو أنها بذلت لذي سَقَم حَرَضَ الفؤاد مشارف القبضِ[14]
حسن الحديث لظل مكتئبًا حرَّان من وجد بها مَض

قال أبو هلال: «وكان استواء المعنى أن يقول: لبرأ من سقمه.»

ومن الإحالة قول ابن مقبل:

أمَّا الأداة ففينا ضُمَّرٌ صُنُعٌ جُرْدٌ عواجزُ بالألبَاد واللُّجُم
ونسج داود من بيض مضاعفة من عهد عاد وبعد الحي من إرم

قال ابن رشيق: «فكيف يكون نسج داود من عهد عاد؟ اللهم إلا أن يريد فينا ضمَّر صنع من عهد عاد، فذلك له على سبيل المبالغة، مع أن الإحالة لم تفارقه، وكم بين قيس

[14] الحَرَض (بفتحتين): الذي أذابه الحزن والعشق، وهو مصدر وُصِف به.

عيلان وبين عاد فضلًا عن بني العجلان!»[١٥] انتهى، والصُّنُع من قولهم: صنع فرسَه، إذا أحسن القيام عليه، فهو فرس صنيع، والعواجر: التي تقمص، وجاء في اللسان عن البيت الأول: «رُويت بالحاء والجيم في اللجم، ومعناه: عليها ألبادها ولحمها، يصفها بالسمن وهي رافعة أذنابها من نشاطها.»

قلنا: والذي انتقده فيه ابن رشيق يصحُّ على القول الأول أن يجاب عنه بأنه أراد ما يشبه نسج داود في الجودة، فيستقيم به المعنى، وأما إنكاره في القول الثاني بقاء هذه الخيل من عهد عاد إلى زمن الشاعر، فلا ريب في أن ابن مقبل لم يُرِدْ بقاءها بأعيانها، وإنما أراد بقاء ما تناسل منها زمنًا بعد زمن، فليس فيه غير المبالغة.

ومن الخطأ قول بعضهم:

كأنه سِبطٌ من الأسباط

قال في اللسان نقلًا عن ابن سيده: إنه ظن السبط الرجل فغلط، وفي المزهر: «ظنَّ أنَّ السبط الرجل، وإنما السبط واحد الأسباط من بني يعقوب.»

ومثله قول الآخر:

تفض أم الهام والترائكا

قالوا: الترائك، بيض النعام، فظن الشاعر أن البيض كله ترائك.

قلنا: لم يخطئ الشاعر؛ فإن بيضة الحديد التي للرأس يقال لها أيضًا: تَرِيكة على التشبيه ببيضة النعامة.

[١٥] بنو العجلان: رهط ابن مقبل، وفيهم يقول النجاشي:

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة فعاد بني العجلان رهط ابن مقبل

ومِنْ وَضْعِ كلمةٍ مَوْضِعَ أخرى قول امرئ القيس:

إذا ما الثريا في السماء تعرضت　　　تَعَرض أثناء الوشاح المفصَّل

قالوا: غلط فذكر الثريا، وهو يريد الجوزاء؛ لأن الثريا لا تتعرض، وهو قول الجمحي، وقال بعضهم: تعرض الثريا أنها إذا بلغت كبد السماء أخذت في العرض ذاهبة ساعة، كما أن الوشاح يقع مائلًا إلى أحد شقي المتوشحة به.

ومما أدركه بعضهم على لبيد قوله:

نحن بني أم البنين الأربعة　　　ونحن خير عامر بن صَعْصَعَهْ[16]

أراد بأم البنين: جدته ليلى، وكانت ولدت أباه ربيعة بن مالك وأعمامَه: عامرًا ملاعب الأسنَّة، وطُفيلًا فارس قرزل،[17] ومعاوية معوِّد الحكماء، وعبيدة الوضَّاح، فكانوا خمسة لا أربعة كما قال، ولهذا حمل بعضهم قوله أربعة على الضرورة الشعرية.

والأكثرون على أنه لم يخطئ؛ لأنه قال ذلك بعد موت أبيه، قال السهيليُّ: «وإنما قال أربعة؛ لأن أباه كان مات قبل ذلك، لا كما قال بعض الناس، وهو قول يُعزَى إلى الفرَّاء أنه قال: إنما قال أربعة ولم يقل خمسة من أجل القوافي، فيقال له: لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن؟»

[16] قوله: «بني» منصوب على الاختصاص، وبعضهم ينشده رفعًا.

[17] قُرْزُل (بضم فسكون فضم): اسم فرسه.

القسم الخامس

ومن هذه الأوهام «القلب» عند من لا يرى جوازه، وهو أن يجعل أحد أجزاء الكلام مكان الآخر، والآخر مكانه، مع إثبات حكم كلٍّ للآخر، نحو: قطع الثوبُ المسمارَ، وأدخلت القَلَنْسُوَة في رأسي، والأصل: قطع المسمارُ الثوبَ، وأدخلت رأسي في القلنسوة؛ لأن المسمارَ هو القاطع للثوب، والرأس هو المُدْخَلُ في القلنسوة.

وقد اختلف فيه النحاة والبيانيُّون، فأجازه بعض النحاة لوضوح المعنى، وخصه بعضهم بالضرورة، وقَبِلَه بعض البيانيين مطلقًا، وردَّه بعضهم مطلقًا، على ما هو مفصَّل في كتبهم، وذهب بعض البيانيين إلى قبوله إن تضمَّن اعتبارًا لطيفًا، كقول رؤبة بن العجَّاج:

ومهمه مغبرة أرجاؤه كأن لون أرضه سماؤه[1]

---

[1] قال البغدادي في حاشيته على شرح «بانت سعاد»: البيت كذا في التلخيص، والذي في ديوان رؤبة وغيره:

وبلد عامية أعماؤه

فالأصل: كأنَّ لونَ سمائه — لِما فيها من الغبار — لونُ أرضِه، قالوا: والاعتبار اللطيف هو المبالغة في وصف لون السماء بالغبرة، حتى كأنه صار بحيث يشبَّه به لون الأرض في ذلك، مع أن الأرض أصل فيه، واعترض بعضهم بأن هذا لا ينبغي إجراء الخلاف فيه؛ لأنه على هذا الاعتبار يكون من التشبيه المقلوب، وقلْب التشبيه متفق عليه، فكان الأولى التمثيل بقول الشاعر:

ورأينَ شيخًا قد تحنَّى صلبه   يمشي فيقعس أو يُكَبُّ فيعثر

لأن الأصل: أو يعثر فيكبَّ؛ أي يسقط على وجهه، والاعتبار اللطيف أن في القلب تخييلَ أنه من غاية ضعفه يسقط على وجهه قبل عثاره، ومثَّلوا للقلب المردود لعدم تضمُّنه هذا الاعتبار اللطيف بقول القطامي يصف ناقته:

فلما أن جَرَى سِمَنٌ عليها   كما طيَّنت بالفَدَنِ السياعا

والفَدَن: القصر، والسياع (بفتح الأول وكسره): الطين بالتبن الذي يطيَّن به ظاهر الجدار، أراد: كما طينت بالسياع الفدن فقَلَبَ، والمعنى: إن هذه الناقة امتلأت سمنًا، فصارت كالقصر المسيَّع في الملاسة، واعتُرِضَ بأنا لا نسلِّم خلوَّه من النكتة؛ لأنه يتضمن من المبالغة في سِمَن الناقة ما لا يتضمنه قولنا: كما طيَّنت الفَدَنَ بالسياع؛ لإيهامه أن السياع بلغ من العظم والكثرة إلى أن صار بمنزلة الأصل، والفدن بالنسبة إليه كالسياع بالنسبة إلى الفدن، كذا في الهنديَّة للدمامينيِّ على المُغْنِي، وفي عروس الأفراح للبهاء السُّبْكي ما نصه: «ويُروَى: بطَّنَت، كذا رأيته في الصحاح للجوهري، وحلية المحاضرة للحاتمي، والتوسعة لابن السِّكِّيت، وجعله قلبًا وفيه نظر؛ لأنه يجوز أن يريد أنه جعل القصر بطانة للطين؛ لأنه داخله فلا قلب، وكل ما كان ظهارة لغيره كان الغير بطانة له.» انتهى.

«ومما عدوه» من القلب قول القطاميِّ في مطلع هذه القصيدة:

قفى قبل التفرق يا ضُباعا   ولا يكُ موقفٌ منك الوداعا

لأنه جعل ما هو في موقع المبتدأ نكرة، وما هو في موقع الخبر معرفة، فحُمل على القلب لتصحيح الحكم اللفظيِّ وصار تقديره: ولا يكن موقف الوداع موقفًا منك، ولو أنه نكَّر الوداع ما حُمل على ذلك.

ومثله قول حسان:

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ   يكون مزاجَها عسلٌ وماءُ

عند من نصب مزاجها، فجعل المعرفة الخبر والنكرة الاسم، وفي البيت تأويلات أخرى تخرجه عن القلب ليس هذا محل ذكرها.

ومن القلب قول القائل:

إنَّ سِرَاجًا لكريم مَفْخَرَهْ   تحلى به العين إذا ما تَجْهَرُهْ

قال السيد المرتضى في أماليه: أي يحلى بالعين، فقدَّم وأخَّر.

ومنه قول الجعدي:

كانت فريضةَ ما تقول كما   كان الزناءُ فريضةَ الرجم

والأصل: كان الرجم فريضة الزناء.

ومنه قول الآخر:

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي   على وَعِلٍ في ذي المطارة عاقل

أراد: ما تزيد مخافة وعل على مخافتي، كذا في أمالي المرتضى.

ومنه قول الآخر:

ترى الثور فيها مدخل الظلِّ رأسَه   وسائره بادٍ إلى الشمس أجمع

أي مدخل رأسِه الظلَّ.

ومنه قول الراعي:

فصبحته كلاب الغوث يؤسدها　　مستوضحون يرون العين كالأثر[٢]

يريد أنهم يرون الأثر كالعين.
ومنه قول النابغة الذبياني:

فلا تتركَنِّي بالوعيد كأنني　　إلى الناس مطليٌّ به القار أجربُ

قال الأعلم: «قوله: كأنني إلى الناس؛ أي في الناس، وقوله مطليٌّ به القار: أي مطليٌّ بالقار فَقَلَبَ، ويحتمل أن يكون في «مطليٌّ» ضمير البعير، كأنه قال: كأني بعير مطليٌّ أجرب فيه القار، أو عليه القار.»
ومنه قول أبي النجم:

قبل دنوِّ الأفق من جوزائه

أي قبل دنوِّ الجوزاء من الأفق.
ومنه قول عروة بن الورد:

فلو أني شهدت أبا معاذ　　غداة غدا بمهجته يفوق[٣]
فديت بنفسه نفسي ومالي　　وما آلوك إلا ما أطيق

قال المرزباني: أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى.

---

[٢] الغوث: قوم من طَيِّئ، ويقال: استوضح الرجل إذا وضع يده على جبهته للنظر.
[٣] فاق بنفسه: جاد بها، وقوله: «لا آلوك»، قال البغدادي في حاشيته على شرح بانت سعاد: الرواية «لا آلوه» والمشهور بكاف الخطاب، بتقدير قائلًا.

ومنه قول الحطيئة:

فلما خشيتُ الهونَ والعير مُمْسَك   على رغمه ما أمسك الحبل حافرُه[٤]

وكان الوجه: ما أمسك الحبلُ حافرَه.
ومثله قول المجنون:

يضم إليَّ الليل أطفال حبِّكم   كما ضم أزرارَ القميص البنائقُ

والوجه: رفع الأزرار ونصب البنائق؛ ولهذا ذكر السيرافي أن بعضهم رواه: «كما ضمَّ أزرارُ القميص البنائقا»، قال: وليس بصحيح؛ لأن القصيدة مرفوعة، هذا على تفسير البنيقة بالرقعة تكون في الثوب كاللبنة، أو هي لَبِنَة القميص، وقال صاحب اللسان: «وفسَّر أبو عمرو الشيباني البنائق هنا بالعُرَا التي تدخل فيها الأزرار، والمعنى على هذا واضح بيِّن لا يحتاج معه إلى قلب ولا تعسف، إلا أنَّ الجمهور على الوجه الأول.» انتهى.
ومنه قول الشماخ:

بانت سعاد ففي العينين ملمول   وكان في قصر من عهدها طول

قال أبو هلال: «كان ينبغي أن يقول: «في طول من عهدها قصر»؛ لأن العيش مع الأحبة يوصف بالقِصَر.» ونحوه في الموشح للمرزباني.
ومنه قول أبي ذؤيب:

فلا يهنأ الواشون أنْ قد هجرتها   وأظلم دوني ليلُها ونهارها

قال أبو هلال: هذا من المقلوب، وكان ينبغي أن يقول: وأظلم دونها ليلي ونهاري، ومثله في الموشح.

[٤] كذا في القرطين، والذي في الموشح ونقد الشعر والديوان: «ما أثبت الحبل.»

ومنه قول الأخطل:

مثل القنافذ هدَّاجون قد بلغت نَجْران أو بلغت سوآتِهم هَجَرُ

وكان الوجه رفع سوآتهم ونصب هجر؛ لأن السوآت هي التي تبلغ هجر.
ومنه قول كعب في بانت سعاد:

كأنَّ أوب ذراعيها إذا عرقت وقد تلفَّع بالقُور العساقيلُ

القور (بالضم): جمع قارة، وهو الجبل الصغير، والعساقيل هنا: السراب ولا واحد لها، والوجه: «كما تلفَّعت القور بالعساقيل»؛ أي صار السراب للأكم مثل اللثام.
ومنه قول النابغة الجعدي:

حتى لحقناهم تُعدى فوارسنا كأننا رَعْن قُفٍّ يرفع الآلا

أي: تعدى فوارسنا الخيل، فحذف المفعول اختصارًا، ورعن القف نادر يندر منه، والقف: ما ارتفع من الأرض، والآل: السراب، شبه حركتهم في عدوهم بحركة القف في الآل؛ لأن الجبال فيه يخيل للناظر أنها تضطرب، فكان الوجه كأننا رعن قفٍّ يرفعه الآل، كذا في أدب الكُتَّاب لابن قُتَيبة، والأضداد لأبي الطيب اللغوي، وشرح بانت سعاد لابن هشام، وقال ابن السِّيد في شرح أدب الكتَّاب: «قال الأصمعي: إنما قال: «يرفع الآل»؛ لأنه ينزو في الآل، فإذا نزا فكأنه قد رفع الآل، يريد أنه لا قلب في البيت كما قال ابن قتيبة.»
ومنه قول خِدَاش بن زهير:

وتركب خيلٌ لا هوادة بينها وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمْر[5]

[5] رواية اللسان وشفاء الغليل: «وتركب خيلًا»، وفي الجمهرة: «ونركب خيلًا»، وروي في نسخة صحيحة من القرطين برفع خيل وفتح التاء من تركب، وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب الأضداد: «كان الوجه أن يُروى: «وتركب» — بضم التاء — وليس يروى إلا «بالفتح»، والخيل لا تركب.» قلنا: لعله من قولهم: يا خيلَ الله اركبي، وقد عدوه أيضًا من المقلوب.

الضياطرة: واحدهم ضَيْطار، وهو الضخم الذي لا يغني شيئًا، والبيت عندهم من المقلوب، إذ الأصل: وتشقى الضياطرة بالرماح؛ أي يُقْتَلون بها، وقيل: لا قلب؛ لجواز أن يكون عنَى أنَّ الرماح تشقى بهم؛ أي إنهم لا يحسنون حملها ولا الطعن بها، وقال علم الدين السخاوي في سفر السعادة: «زعموا أنه مقلوب، وأن وجه الكلام: وتشقى الضياطرة بالرماح، وأحسن من هذا أن يكون غير مقلوب، وشقاوة الرماح تكسُّرها فيهم، كما قال:

فتًى شَقِيَت أرماحه بعداته　　　كما شقيت أرماح زيد بتغلب»[٦]

انتهى، وفي البيت رواية أخرى رواها الإمام محمد بن أحمد بن مُطَرِّف الكناني في القرطين، وهي: «وتعصَى الرماح» من قولهم: عَصِيَ بسيفه يعصَى: أي ضرب به، والمراد هنا الطعن، وعلى هذه الرواية لا يصح تخريج ما في البيت إلا على القلب، قال الكناني: «لأن الرماح لا تعصى بالضياطرة، وإنما يعصى الرجال بها؛ أي يطعنون.»

ومنه قول الفرزدق يذكر ذئبًا:

وأطلس عسَّال وما كان صاحبًا　　　رفعت لناري موهنًا فأتاني

قال المُبَرِّد في الكامل: «قوله: «رفعت لناري» من المقلوب، وإنما أراد: «رفعت له ناري»، والكلام إذا لم يدخله لَبْسٌ جاز القلب للاختصار»، ثم قال: «ويروى أن يونس بن حبيب قال لأبي الحسن الكسائي: كيف تُنشد بيت الفرزدق:

غداة أحلَّت لابن أصرم طعنةٌ　　　حصينٍ عبيطاتِ السدائف والخمرُ

فقال الكسائي: لما قال: «غداة أحلت لابن أصرم طعنة حصين عبيطات السدائف» تم الكلام فحمل الخمر على المعنى، أراد: وحلَّت له الخمر، فقال يونس: ما أحسنَ ما قلت! ولكن الفرزدق أنشدنيه على القلب، فنصب الطعنة ورفع العبيطات والخمر على ما وصفنا من القلب، والذي ذهب إليه الكسائي أحسن في محض العربية، وإن كان إنشاد الفرزدق جيدًا.» انتهى.

---

[٦] كذا بلفظ «زيد» في نسخة صحيحة من السعادة بأولها خط المصنف.

ومنه قول الفرزدق أيضًا:

فبِتْنَ بجانبيَّ مصرَّعاتٍ وبِتُّ أفضُّ أغلاقَ الخِتَام

قال الفارسي: أراد ختام الأغلاق فَقَلَب، كذا في اللسان في مادة «غلق».
ومنه قول ذي الرُّمَّة:

وقرَّبْن بالزُّرق الحمائل بعدما تقوب عن غربان أوراكها الخَطْرُ[٧]

الزرق: أكثبة بالدهناء، والغرابان من الفرس والبعير: حرفا الوركين، والخطر: ما لصق بالوركين من البول، وتقوَّب الجلد: تقشَّر، قال صاحب اللسان: «أراد تقوَّبت غربانها عن الخطر فقلبه؛ لأن المعنى معروف، كقولك: لا يدخل الخاتم في إصبعي؛ أي لا يدخل إصبعي في الخاتم.»

ومنه قول بعضهم، ونسبه صاحب الوساطة للأعشى:

وكلُّ كُمَيت كأنَّ السليـ ـط في حيث وارى الأديمُ الشعارا

ففي الوساطة: «يريد حيث وارى الشعارُ الأديمَ فقلب الكلام»، ورواية اللسان: «طويل» بدل كميت، وجاء فيه عن البيت ما نصه: «أراد كأنَّ السليط، وهو الزيت في شعر هذا الفرس لصفائه، والشعار: جمع شَعَر، كما يقال: جبل، وجبال، أراد أن يخبر بصفاء شعر الفرس، وهو كأنه مدهون بالسليط، والمواري في الحقيقة الشعار، والموارَى هو الأديم؛ لأن الشعر يواريه فقلب، وفيه قول آخر: يجوز أن يكون هذا البيت من المستقيم غير المقلوب، فيكون معناه: كأنَّ السليط في حيث وارى الأديمُ الشعر؛ لأن الشعر ينبت من اللحم وهو تحت الأديم؛ لأن الأديم الجلد، يقول: فكأن الزيت في الموضع الذي يواريه الأديم وينبت منه الشعر، وإذا كان الزيت في منبته نبت صافيًا، فصار شعره كأنه مدهون؛ لأن منابته في الدهن، كما يكون الغصن ناضرًا ريَّان إذا كان الماء في أصوله.» انتهى.

[٧] الحمائل (بالحاء المهملة) هي رواية اللسان في «غرب» و«خطر»، والذي في الديوان: الجمائل (بالجيم) وفُسرت بأنها جمع جمالة.

ومنه قول الأعشى:

حتى إذا احتدمت وصا   ر الجمر مثل ترابها

أي: وصار ترابها مثل الجمر، وقد روي هذا البيت في الأضداد لأبي الطيب اللغوي، والقرطين للكناني، والذي في الأضداد للسجستاني:

حتى يصير الجمر مثل ترابها

أي على أنه شطر بيت، وليحقَّقْ فإنِّي لم أجده في نسخة ديوان الأعشى التي بيدي، ولعله لأعشى آخر، إلا أن عادتهم إذا أطلقوا أرادوا الأعشى الأكبر.

ومنه قول الشماخ يذكر أباه:

منه ولدت ولم يؤشب به حسبي   ليًّا كما عُصِبَ العلباء بالعود[8]

العلباء: عصب العنق، وكانت العرب إذا تصدَّع رمح تعصبه به وهو رطب فيجف عليه، فكان الوجه في البيت:

كما عُصب العود بالعلباء

«ومنه» قول ذي الرُّمة:

وتكسو المِجَنَّ الرخو خصرًا كأنه   إهان ذَوَى عن صُفرة فهو أخلق

المِجَن هنا: الثوب، والإهان (بكسر أوله): عود العذق، والأخلق: الأملس، وكان الوجه أن يقول: تكسو الخصر مِجَنًّا.

[8] «منه ولدت» هي رواية القرطين والأضداد لأبي الطيب اللغوي، والذي في ديوان الشماخ: «منه نجلت.»

ومن القلب قوله أيضًا يذكر بعيرًا:

بَرَى لحمه التوجافُ حتى كأنَّه　　هلالٌ نضت عنه الرياحَ سحائبُه[٩]

أي أهزله الإسراع في السير حتى صيَّره كهلال تقشَّعت عنه السحائب، فالرياح هي التي نضت عنه السحائب لا العكس كما في البيت، ولكنه لما اضطُر قلب، وقد رواه هكذا أبو الطيب اللغوي في الأضداد، ورواية الديوان: «هلال بدا وانشقَّ عنه سحائبه» ولا قلب عليها.

ومنه قول الآخر:

أسلمته في دمشق كما　　أسلمت وحشيةٌ وَهَقَا

الوهق (بفتحتين): حبل مُغار يرمى فتؤخذ به الدواب، والوجه: كما أسلم وهقٌ وحشية.

ومنه ما أورده ابن هشام في المُغْنِي لبعضهم:

فإن أنت لاقيت في نجدة　　فلا يتهَيَّبْك أن تقدما

قال الدماميني في الهندية: «أي لا يَخَفْكَ الإقدام، والمعنى: لا تخف أنت الإقدام على ملاقاة العدو والدخول في الحرب، والقلب فيه ظاهر.»

وفي المُغْنِي أيضًا لابن مقبل:

ولا تهَيَّبني الموماة أركبها　　إذا تجاوبت الأصداء بالسحر

أي: لا تَتَهَيَّبني، فحُذفت إحدى التاءين، والوجه: «لا أتهيَّبها.»

[٩] في الديوان: «طوى بطنه الترجاف.»

ومن قلب التثنية بالإفراد ما ورد في المُغْنِي أيضًا لبعضهم:

إذا أحسن ابن العمِّ بعد إساءة   فلست لشَرَّيْ فعله بحمول

أي: فلستُ لشرِّ فِعْلَيْهِ.
ومن القلب قول بعضهم:

متاليف سيَّارون والليل مسدف   إذا الليل بالغَوْج الهدان تحيَّرا

قال أبو الطيب اللغوي في الأضداد: «أي إذا تحير الغوج الهدان بالليل، والغوج: الثقيل، والهدان: البليد.»
ومنه قول الآخر:

عليك سلام الله منِّي مضاعفًا   إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

قال أبو الطيب: «يريد إلى أن تطلع الشمس من حيث تغيب.»
ومنه قول الآخر:

فإنَّ بني شُرَحْبِيل بن عمرو   تمادوا والفجور من التمادي[١٠]

يريد: والتمادي من الفجور.
ومنه قول الآخر:

أتجزع أن نفسي أتاها حِمَامها   فهلَّا التي عن بين جنبيك تدفع

يريد: فهلَّا عن التي بين جنبيك تدفع.

---

[١٠] في نسختنا من الأضداد لأبي الطيب: «قال بني» وهو تحريف ظاهر، فرجحنا أن يكون: «فإنَّ بني» ولْيُحَقَّقْ.

ومنه قول الآخر:

أقب طِمِر كسِيد الغضا إذا ما الخبار انتحاه وَثَبْ

يريد: إذا انتحى الخبار؛ أي قصده، والخبار من الأرض: ما لان واسترخى، وكانت فيه جِحَرة.

ومنه قول الآخر:

ووحش إران قد سلبت مقيله إذا ضنَّ بالوحوش العتاق مقايلُهْ

هكذا أنشده أبو الطيب اللغوي في الأضداد، وقال: «يريد إذا ضنَّ الوحش بمقايله»، والإران على هذه الرواية إما الكنَّاس، وإما موضع تنسب إليه البقر، وورد في اللسان على أن الإران الثور الوحشي برواية:

وكم من إران قد سلبت مقيله إذا ضنَّ بالوحش العتاق معاقله

ومن القلب قول بعضهم:

كأن ريقتها بعد الكرى اغتبقت من مستكن نماه النحل في نيق
أو طعم غادية في جوف ذي حَدَب من ساكب المزن يجري في الغرانيق[١١]

النيق (بكسر الأول): أرفع موضع في الجبل، وأراد بذي حدب: ماء استنقع في موضع منخفض تحت جبل فبرد وَصَفا، كذا في الاقتضاب.

قال أبو الطيب في الأضداد: «أي تجري الغرانيق فيه، والغرانيق: جمع غُرْنَيق، وهو طير الماء.» فجعله من المقلوب، والذي في اللسان: أنه أقام «في» مقام «مع»؛ أي إنه أراد: يجري مع الغرانيق، ومثله في أدب الكتَّاب لابن قتيبة، وشرحه المسمى بالاقتضاب لابن السِّيد، وذكر أن الشعر لخُرَاشة بن عمرو العبسي، وأنَّ بعضهم رواه لعنترة بن شداد.

[١١] ويروى: «من ساكن المزن»، قال ابن السيد في الاقتضاب: أي من الماء الساكن في المُزْن، وهي السحاب.

ومن القلب قول الراجز يشكو أذى البرغوث:

قد حكَّني الأسيود الأسَكُّ[١٢]   بالليل حكًّا ليس فيه شكُّ
أَحُكُّ حتى منكبي منفكُّ

كذا رواه أبو الطيِّب في الأضداد، وقال: «يريد بالأسيود: البرغوث، ويريد حككته، فقال: حكَّني.»

ورواية اللسان:

ليلةُ حكٍّ ليس فيها شكُّ   أَحُكُّ حتى ساعدي مُنْفَكُّ
أسهرني الأسيود الأسَكُّ

ومنه قول الآخر:

وقد أراني في زمان ألعبُهْ   في رونق من الشباب أعجبُهْ

قال أبو الطيب: «أي يعجبني، وقوله: ألعبه؛ أي في زمان ألعب فيه.»

ومنه قول الآخر:

قد صبَّحت صبَّحها السلام   بكبد خالطها السَّنام
في ساعة يحبُّها الطعام

قال أبو الطيب: «أي يُحَبُّ فيها الطعام.» ومثله في اللسان.

ومنه قول الآخر:

[١٢] الأسك: الصغير الأذن.

وإذا تعاورت الأكفُّ زجاجها نفحت فنال رياحَها المزكومُ[١٣]

قال أبو الطيب: «يريد: فنالت رياحها المذكوم، والمذكوم نصب، والرياح رفع.»
ومنه قول الآخر:

ما كنت في الحرب «العوان» مغمَّرًا إذ شبَّ حَرُّ وقودها أجزالها[١٤]

قال أبو الطيب: «وإنما الأجزال هي التي شبَّت حَرُّ وقودها.»
ومن القلب الواقع في كلام المولدين قول أبي تمام يصف قلم ممدوحه:

لعاب الأفاعي القاتلات لعابه وأرى الجنى اشتارته أيد عواسل

أورده القزويني في الإيضاح شاهدًا على القلب المتضمِّن الاعتبار اللطيف، ولم يتكلم عليه، والمراد أن الوجه فيه: «لعابه كلعاب الأفاعي»، فعكس التشبيه للمبالغة، ولكن لا يخفى أنه يَرِدُ عليه ما ورد على قول رؤبة: «كأن لون أرضه سماؤه» المتقدم ذكره، فيُعَدُّ من التشبيه المقلوب، لا من القلب المراد هنا.

وزعم بعضهم: أن من المقلوب قول المتنبي:

وعذلتُ أهل العشق حتى ذقته فعجبت كيف يموت من لا يعشق

لأنه عنده على تقدير: كيف لا يموت من يعشق، وخلاصة ما في شروح الديوان، والوساطة، والمُغْنِي، وعروس الأفراح: أنْ لا قلب؛ لأن المراد أنه صار يرى أنْ لا سبب للموت سوى العشق؛ أي إن الأمر المتقرر في النفوس أن الموت أعلى مراتب الشدة، وإني لما ذقت العشق وعرفت شدته عجبت كيف يكون هذا الأمر الصعب المتفق على شدته غير العشق، وكيف يجوز ألا تعم علته فتستولي على الناس حتى تكون مناياهم منه.

[١٣] البيت للأخطل في الخمر، ورواية الأغاني: «زجاجها» كما هنا، وفي موضع آخر: «ختامها» وهي رواية معاهد التنصيص أيضًا.

[١٤] في النسخة بياض موضع (العوان)، ولكن رُسمت من الكلمة أداة التعريف والنون التي بآخرها، ولْتُحَقَّقْ.

ومن المقلوب في رأي ابن جني قولُ المتنبي أيضًا:

نحن ركب مِلْجِنٍّ في زي ناس فوق طير لها شخوص الجِمال[١٥]

لأن تقديره عنده: نحن ركب من الإنس في زي الجن فوق جِمال لها شخوص الطير، قال ابن سنان الخفاجي في سر الفصاحة: «وهذا عندي تعسُّف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة، ومراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء، فيقول: نحن من الجن لِجَوْبِنَا الفلاةَ والمَهَامِهَ والقِفَارَ التي لا تُسلَك، وقِلَّةِ فَرَقِنَا فيها إلا أننا في زي الإنس، وهم بلا شك كذلك، ونحن فوق طير من سرعة إبلنا إلا أن شخوصها شخوص الجِمَال، ولا خلاف أيضًا في هذا.» انتهى.

[١٥] أي من الجن، فحذف النون لسكونها وسكون اللام.

القسم السادس

ومن هذه الأوهام تغيير الأسماء، وهو ثلاثة أنواع:

الأول: لفظي، وهو ما كان التغيير فيه في أحرف الاسم بالتقديم والتأخير، أو الزيادة أو النقصان.

والثاني: معنوي، وهو ما وُضِعَ فيه اسم موضع آخر.

والثالث: جامع لهما، وهو ما وقع فيه التغييران كلاهما.

فالأول: كقول الأسود بن يَعْفُر يصف درعًا:

ودعا بمحكمة أمينٍ سكها   من نسج داود أبي سَلَّام

يريد: «أبي سليمان»، فلما اضطُرَّ، قال: سلَّام، وكقول الآخر:

وسائلة بثعلبة بن سَير   وقد علقت بثعلبة العَلُوق

يريد ثعلبة بن سيَّار، ومثله كثير، ولا كلام لنا فيه لخروجه عن مقصودنا.
والثاني: كقول حُسَيل بن سُجَيح الضَّبِّي يذكر درعًا:

وبيضاء من نسج داود نَثْرة　　　تخيَّرْتها يوم اللقاء الملابسا[١]

فإن الدروع من نسج داود نفسه لا ابنه سليمان، وأكثر ما يقع هذا بذكر الابن بدل الأب وعكسه، وخرَّجه التبريزيُّ في شرح ديوان الحماسة على أنه من عادة العرب في إقامة الأب مقام الابن، والابن مقام الأب، وتسمية الشيء باسم غيره إذا كان من سببه.

والثالث: أي الجامع للَّفظيِّ والمعنويِّ، كقول الحطيئة:

فيه الرماح وفيه كل سابغة　　　بيضاء محكمة من نسج سلَّام[٢]

وقول النابغة:

وكل صموت نَثْلة تُبَّعيَّة　　　ونسج سُلَيم كل قَضَّاء ذائل[٣]

قال القاضي الجرجاني في الوساطة: «أرادا داود فغلطا إلى سليمان، ثم حرَّفا اسمه، فقال أحدهما: سلَّام، وقال الآخر: سليم.» انتهى.

وتبعهما أبو العلاء المعري فقال في الدرعيات:

سليميَّة من كل قتر يحوطها　　　قتير نبت عنه الغواني الأوانسُ[٤]

فمن المعنوي قول الصَّلَتان العبدي:

أرى الخَطَفَى بذَّ الفرزدق شعرُه　　　ولكنَّ خيرًا من كُلَيب مجاشع

---

[١] أصله: تخيرتها من الملابس، فلما حذف حرف الجر وصل الفعل إلى المفعول فنصبه.

[٢] ويروى: «جدلاء» بدل بيضاء.

[٣] الذائل: الدرع الطويلة الذيل، وفي شرح السيرافي على كتاب سيبويه: أنه صغَّر سليمان على سُلَيْم تصغير ترخيم.

[٤] من كل قتر؛ أي من كل جانب، ويعني بالقتير: مسامير الدروع، ولما كان القتير موهمًا طلائع الشيب ذكر نفرة الغواني عنه.

قال ابن مطرف في القرطين: «أراد أرى جريرًا بذَّ الفرزدق فلم يمكنه، فذكر جده.» وفي خزانة البغدادي: أراد أرى جرير بن عطية بن الخطفى، وجاز هذا لكونه معلومًا عند المخاطب، وقد أنكر الخوارزمي كون هذا من باب الحذف، وقال: إنما هو من باب تعدي اللقب من الأب إلى الابن، كما في قوله:

كراجي الندى والعرف عند المذلَّق

«أي ابن المذلق.» انتهى.

ومنه قول حسان بن ثابت:

من معشر لا يغدرون بذمة الحارث بن حبيب بن سحام[٥]

قال القاضي الجرجاني في الوساطة: «وإنما هو حبيب.»

ومنه قول أوس بن حَجَر:

فهل لكم فيها إليَّ فإنني طبيب بما أعي النطاسي حِذْيَما

أراد ابن حذيم، وكان من أطبَّاء العرب فذكر أباه.

وذهب ابن السِّكِّيت في شرحه لديوان أوس إلى أن حذيمًا اسم الطبيب نفسه، وتبعه في ذلك صاحب القاموس، ولكن الأكثرين على أنه أبوه، واستشهد الزمخشري في الكشَّاف بهذا البيت على حذف المضاف لأمن اللبس، ولكنه خالف كلامه في المُفَصَّل فجعله من المحذوف مع وجود اللبس، وأنشد معه قول ذي الرمة:

عشيَّة فرَّ الحارثيون بعدما قضى نحبه في ملتقى القوم هوبر[٦]

[٥] ورد هذا البيت هكذا في النسخة المطبوعة بصيدا من الوساطة، ولم نجدْه في ديوانه.

[٦] رواية المزهر: «هوى بين أطراف الأسنة هوبر.»

أي يزيد بن هوبر، وقد صوَّب البغدادي في خزانته قول الأول بأن الإلباس وعدمه إنما يكون بالنسبة إلى المخاطَب الذي يُلقي المتكلم كلامه إليه لا بالنسبة إلى أمثالنا، فإنه وإن كان عندنا من قبيل الإلباس فهو مفهوم واضح عند المخاطَب به في ذلك العصر.

ومنه قول الآخر يصف إبلًا:

صبَّحن من كاظمة الخُصِّ الخَرِبْ يحملن عبَّاس بن عبد المطلب[٧]

قال ابن مُطَرف الكناني في القرطين: «أراد عبد الله بن عباس، فذكر أباه مكانه.» وجعله ابن جِنِّيٍّ في الخصائص من المحذوف لأمن اللبس، فقال: «وإنما أراد عبد الله بن عباس، ولو لم يكن على الثقة بفهم ذلك لم يجد بدًّا من البيان.» وأورده المُبَرِّد في الكامل، وأنشد معه للفرزدق في سليمان بن عبد الملك:

ورثتم ثياب المجد فهي لَبُوسكم عن ابْنَيْ مناف عبد شمس وهاشم

يريد ابن عبد مناف، وأنشد معه أيضًا قول كُثَيِّر لما حبس عبدُ الله بن الزبير محمدَ ابن الحنفيَّة في سجن عارم:

تخبَّر من لاقيت إنَّك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم
وَصِيُّ النبي المصطفى وابن عمه وفكاك أعناق وقاضي مغارم

يريد ابن وصي النبي، وفي مادة «وصى» من اللسان: «إنما أراد ابن وصي النبي وابن عمه، وهو الحسن بن علي، أو الحسين بن علي، رضي الله عنهم، فأقام الوصيَّ مقامها، ألا ترى أن عليًّا رضي الله عنه لم يكن في سجن عارم، ولا سُجِنَ قط؟! قال ابن سِيدَهْ: أنبأنا بذلك أبو العلاء عن أبي علي الفارسي، والأشهر أنه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه، حبسه عبد الله بن الزبير في سجن عارم، والقصيدة في شعر كُثَيِّر مشهورة، والممدوح بها محمد ابن الحنفية.» انتهى.

[٧] وفي رواية: «الحصن» بدل «الخص» كما في مادة «وصى» من اللسان.

ومنه قول دُرَيْدِ بن الصِّمَّة يرثي أخاه عبد الله:

فإن تُعقب الأيام والدهر فاعلموا بني قارب أنَّا غضاب بِمَعْبَد[8]
وإن كان عبد الله خلى مكانه فما كان طيَّاشًا ولا رعش اليد

أراد بمعبد: عبد الله، وقد صرح به في البيت الثاني، والأقرب عدُّ هذا من الخطأ اللفظي؛ أي بتحريف عبد بمعبد، وسهله له رجوع كلا اللفظين إلى معنى العبودة.

ومنه قول الآخر:

أرض تخيَّرها الطيب مقيلها كعب بن مامة وابن أم داود

قال البغدادي في الخزانة: «هو أبو داود الشاعر، واسمه جارية،[9] والتقدير ابن أم أبي داود، فحذف الأب.»

ومنه ما ذكره السيرافيُّ في شرحه لكتاب سيبويه فقال: «وأما ما لا يجوز في الشعر ولا في الكلام، فالغلط الذي يغلطه الشاعر في اسمٍ أو غيره مما يظن أن الأمر فيه على ما قاله؛ كقوله:

والشيخ عثمان أبو عفَّان[10]

فظن أن عثمان يُكَنَّى أبا عفَّان؛ لأن اسم أبيه عفَّان، وإنما هو أبو عمرو، فهذا مما لا يجوز.»

---

[8] كذا في اللسان والوساطة، والذي في المزهر وموارد البصائر وشرح السيرافي على سيبويه «لمعبد» وفيه بدل البيت الثاني:

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسًا فقلت أعبدُ اللهِ ذلكم الردي

[9] الذي في القاموس وشرحه: «جويرية» أي بالتصغير.

[10] كذا في شرح السيرافي على سيبويه، والذي في المزهر «أبو عفانا» ولا يتعين أحدهما إلا بالوقوف على بقية الرَّجَز.

ومنه قول لبيد يرثي عمَّه عامر بن مالك الملقَّب بملاعب الأسِنَّة:

قُوما تنوحان مع الأنواح   وأَبِّنا ملاعب الرماح

وقوله فيه:

لو أنَّ حيًّا مدرك الفلاح   أدركه ملاعب الرماح

فاضطرته القافية إلى تلقيبه بلقب غيره؛ لأن ملاعب الرماح هو عامر بن الطُّفيل، هذا على ما جاء في موارد البصائر، ومادتَيْ «رمح» و«لعب» من اللسان، وجاء في مادة «رمح» من القاموس: «وملاعب الرماح: عامر بن مالك بن جعفر، والمعروف ملاعب الأسنة، وجعله لبيد رماحًا للقافية.» إلا أنه اقتصر فيه على المشهور في مادة «لعب».

ومنه قول زهير:

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم   كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم

فذكروا أنه أخطأ في قوله كأحمر عاد، وهو أحمر ثمود، وقال بعض أهل اللغة: العرب تسمِّي ثمود: عادًا الآخرة، وتسمي قوم هود: عادًا الأولى، فقول زهير صحيح.

ومنه قول النَّمِر بن تَوْلَب:

هـلَّا سـألـتِ بـعـاديـاء وبـيـتـه   والخل والخمر التي لم تمنع[11]
وفـتـاتـهـم عَـنْـز عشـيـة أبـصـرت   من بعد مرأى في القضاء ومسمع
قـالـت أرى رجـلًا يـقـلِّـب نـعـلـه   أُصُـلًا وجـوٌّ آمـنٌ لـم يـفـزع[12]

وعَنْز (بفتح فسكون): اسم زرقاء اليمامة، وكانت — على ما زعموا — تُبْصِرُ من مسيرة ثلاثة أيام، وهي من جَديس، فجعلها الشاعر من بيت «عادياء»، وهو أبو السموءل الأزدي الغساني، فأخطأ في وضعه اسمًا موضع آخر.

---

[11] قوله: بعادياء، يريد عن عادياء.

[12] جو (بفتح الأول): اسم بلد، وهي اليمامة، والمراد هنا: أهل جو.

وقال بعضهم أراد بعادياء عادًا، والعرب تقول لكل شيءٍ قديم عاديٌّ.

قلنا: وعلى هذا القول فهو من الخطأ اللفظي بتحريف عاد بعادياء، والأقرب في الاعتذار عنه قول ابن حبيب في شرحه لديوانه: «نسب عنزًا إلى بيت عادياء، وليست منهم، وإنما كان شيئًا في أول الدهر فنسبه إلى بعضهم، كما قال زهير: كأحمر عاد، وإنما كان في ثمود.»

ومنه قول البحتري من المولدين:

هم ثأروا الأخدود ليلة أغرقت رماحهم في لجَّة البحر تُبَّعا

قال أبو العلاء المعري في عبث الوليد: «الذي غرق من ملوك اليمن في البحر لما أرهقته الحبشة هو ذو نُوَاسٍ الحِمْيَري، ولم يكن يقال له تُبَّع، إلا أن هذا يحتمله الشعر على أن يجعل كل ملكٍ للعرب تُبَّعًا، كما جعلوا كل ملك للروم قيصر، وكل ملك من ملوك الحيرة النعمان.»

وكل ما ذكرناه من المآخذ لم نأتِ به من عند أنفسنا، بل عوَّلنا فيه على ما في كتب أئمة اللغة والأدب؛ كاللسان، والمزهر، والخصائص، والأغاني، والعقد، ومحاضرات الأدباء، والقرطين، والتنبيهات، ومجالس أبي مسلم، والوساطة، والموشح، وسِفْر السعادة، والخزانة، وكتب الأضداد، والضرورات الشعرية، وشروح الدواوين، وغيرها، فإن كان لنا فيه شيء فَجَمْعُ ما انتثر منه، وضم الشبيه إلى شبيهه، أو ما كان كالتوطئة، أو الشرح لكلامهم، وقد مَنَعَنَا طول المقال عن إلحاقه بما وقع من هذه الأوهام لفحول المولدين غير ما تقدم ذكره بالمناسبة فأرجأناه لمقال آخر خاص بهم.

الباب الثاني

الشعراء المولدون

ويشتمل على القسم السابع

القسم السابع

ولنختمْ كلامنا ببعض ما وقع من الأوهام المعنوية لمن يُعتد بهم من الشعراء المولدين، غير ما تقدم لنا ذكره بالمناسبة مع أوهام العرب.

(١) أبو نُوَاس

فمما أُدرك على أبي نواس قوله في وصف الأسد:

كأنما عينه إذا التفتت بارزة الجفن عين مخنوق[١]

فإن عين المخنوق تكون جاحظة، والأسد لا يوصف بجحوظ العين، بل يوصف بغئورها، كما قال أبو زُبَيد:

كأن عينيه في وَقْبين من حَجَر قِيضا اقتياضًا بأطراف المناقير[٢]

---

[١] «التفتت» رواية العقد الفريد، والذي في الصناعتين وسر الفصاحة: «نظرت»، وفي النسخة المطبوعة في الحيوان للجاحظ: «تهبت.»

[٢] الوقب: النقرة في الحجرة، وقيضًا: نقرًا، والمناقير: جمع منقار، وهي حديدة ينقر بها.

ومن أوهامه ما رواه المرزباني في الموشح، قال: «حدثني المظفَّر بن يحيى، قال: غلط أبو نواس في قوله يصف الكلب:

كأنما الأُظفور من قِنابه   موسى صَناع رُدَّ في نصابه[٣]

لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسِّنَّوْر الذي يستتر إذا أرادا حتى لا يتبيَّن، وعند حاجتهما تخرج المخالب حُجنًا محددة يفترسان بها، والكلب مبسوط اليد أبدًا غير منقبض.»

ومما أُدرِكَ على أبي نواس أيضًا قوله يصف الديار:

كأنها إذا خرست جارم   بين يدي تفنيده مطرق

قال الجاحظ في الحيوان: «عابوه بذلك، وقالوا: لا يقول أحد: لقد سكت هذا الحجر كأنه إنسان ساكت، وإنما يوصف خرس الإنسان بخرس الدار، ويشبه صممه بصمم الصخر.» انتهى.

قلنا: الذي عندنا في البيت أنه من التشبيه المقلوب، والتخيل فيه بديع فلا وجه لما ذكروه.

ومن التناقض قول أبي نواس أيضًا يصف الخمر:

كأن بقايا ما عفا من حبابها   تفاريق شيب في سواد عذار

قال المرزباني في الموشح: «شبه حباب الكأس بالشيب، وذلك قول جائز؛ لأن الحباب يشبه الشيب في البياض وحده لا في شيء آخر غيره، ثم قال:

تردَّت به ثم انفرى عن أديمها   تفرِّيَ ليل عن بياض نهار

[٣] القناب (بكسر الأول): ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده، والصناع (بفتح أوله): الحاذق في الصنعة؛ أي كأن ظفر هذا الكلب إذا أدخله في قنابه موسى رجل صناع طوى في نصابه.

فالحباب الذي جعله في هذا البيت الثاني كالليل هو الذي في البيت الأول أبيض كالشيب، والخمر التي كانت في البيت الأول كسواد العذار هي التي صارت في البيت الثاني كبياض النهار، وليس في هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر؛ لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان، وكل واحد منهما في غاية البعد عن الآخر، فليس يجوز أن يكون شيء واحد يوصف بأنه أسود وأبيض، إلا كما يوصف الأدكن في الألوان، بالقياس إلى كل واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما، فيقال: إنه عند الأبيض أسود، وعند الأسود أبيض، وليس فيما قاله أبو نواس حال توجب انصراف ما قاله إلى هذه الجهة.» انتهى.

قلنا: هذا صحيح على هذه الرواية، ولكنَّا رأينا على نسختنا من الموشح حاشية نصها:

> الموجود بخط توزون[٤] النحوي، صاحب أبي عمر الزاهد صاحب أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب: «تردَّت به ثم انفرت»، وعلى هذه الرواية لا تناقض.

وفي الموشح أيضًا ما نصه: «ومن قول أبي نواس على طريق الإيجاب والسلب:[٥]

ولي عهد ما له قرين ولا له شبه ولا خدين
أستغفر الله بلى هارون يا خير من كان ومن يكون
إلا النبي الطاهر الميمون[٦]

فصيَّر هارون شبيهًا بوليِّ العهد، ثم قال: إنه خير الناس، ولم يستثن بهارون، فكأنه إما خَيْرٌ منه، وليس خيرًا منه لأنه شبيهه، أو شبيهه وليس بشبيهه لأنه خير منه، وهذا جمع بين النفي والإثبات.»

---

[٤] توزون لقبه، واسمه إبراهيم بن أحمد، وكان صحيح النقل جيد الضبط، ولم يصنف شيئًا غير جمعه لشعر أبي نواس، ولم نقف على وفاته.

[٥] من رَجَزٍ يمدح به الأمين بن هارون الرشيد.

[٦] لحَّنَه المُبَرِّد فيه بأنه رفع المستثنى وحقه النصب، لأن الكلام موجب، ورُدَّ بأن المستثنى — وهو لفظ «النبي» — منصوب، وإنما المرفوع نعته على القطع، فلا لحن.

(٢) أبو تمام

ومما وهم فيه أبو تمام قوله:

ألذ من الماء الزلال على الظما وأطرف من مَرِّ الشمال ببغداد

قال القاضي الجرجاني في الوساطة: «جعل الشمال طرفة ببغداد، وهي أكثر الرياح بها هبوبًا، وقد رواه بعض الرواة أظرف، ولا أعرف معنى الظرف في الريح.»

وقوله:

ورحبُ صدرٍ لو أن الأرض واسعة كوسعه لم يضِقْ عن أهله بلد[٧]

قال في الوساطة: «وهذا المعنى فاسد؛ لأنه جعل البلاد إنما تضيق بأهلها لضيق الأرض، وأنها لو اتسعت اتساع صدره لم تضق البلاد، ونحن نعلم أن البلاد لم تخطط في الأصل على قدر سعة الأرض وضيقها، وأن الأرض تتسع لبلاد كثيرة، ولاتساع ما فيها من المدن أيضًا، وهي على حالها، وإنما تؤسَّس وتُبدَأ على قدر الحاجة إليها، فإذا استمر بها الزمان وكثُرت العمارة وظهر فيها ما يستدعي الناس إليها ضاقت، فإن جاورتها فسح وعِراص وسعت، وإلا احتمل لها بعض الضيق، فلو اتسعت الأرض حتى امتدت إلى غير نهاية وأمكن ذلك لم تزد البلاد التي تنشأ فيها على مقاديرها.» وقد خطأه فيه أبو هلال أيضًا، فقال في الصناعتين: «وذلك أن البلدان التي تضيق بأهلها لم تَضِقْ بأهلها لضيق الأرض، ومن اختط البلدان لم يختطها على قدر ضيق الأرض وسعتها، وإنما اختُطَّت على حسب الاتفاق، ولعل المسكون منها لا يكون جزءًا من ألف جزء، فَلِأَيِّ معنًى تصييرُهُ ضيقَ البلدان الضيقة من أجل ضيق الأرض؟ والصواب أن يقول: ورحب صدر لو أنَّ الأرض واسعة كوسعه لم يسعها الفلك، أو لضاقت عنها السماء، أو يقول: لو أن سعة كل بلد كسعة صدره لم يضق عن أهله بلد، والجيد في هذا المعنى قول البحتري:

[٧] في رواية: عن «أهلها» برجوع الضمير إلى الأرض.

مفازة صدر لو تطرَّق لم يكن　　ليسلكها فردًا سُلَيك المقانب[8]

أي لم يسلكها إلا بدليل لِسَعَتها، على أن قوله: مفازة صدر استعارة بعيدة.» انتهى.

وللآمدي كلام طويل عن البيت، راجعه إن شئت في الموازنة.

ومما أُدْرِكَ على أبي تمام قوله:

الود للقربى ولكن عُرفه　　للأبعد الأوطان دون الأقرب

قال ابن سنان في سرِّ الفصاحة: «قيل: لِمَ منع ذوي القربى من عرفه، وجعله في الأبعدين دونهم؟ وهلَّا كان عطاؤه للقريب والبعيد.» وقال أبو هلال: «لا أعرف لِمَ حرم أقارب الممدوح عُرْفَه وصيَّرَه للأبعدين؟ فنقصه الفضل في صلة الرحم، وإذا لم يكن مع الودِّ نفعٌ لم يُعتَدَّ به.» إلى أن قال: «وقد أغرى أبو تمام بهذا القول أقرباء الممدوح؛ لأنهم إذا رأوا عرفه يفيض في الأبعدين ويقصر عنهم أبغضوه وذموه.»

قلنا: ولمَ لا يكون قصد أبي تمام أن الممدوح من بيت مجد وغنًى لا يحتاج أقاربه لغير الود منه؟ على أن مثل هذا ربما لا يعد من نوع الخطأ الذي توخَّينا ذكره إلا أن يُحمَل على أنه أراد أن يمدح فهجا.

وقوله:

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه　　بكفَّيك ما ماريت في أنه بُرْد

قال أبو هلال: «وما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الإسلام الحلم بالرقة، وإنما يصفونه بالرجحان والرزانة.» ثم أورد عدة شواهد على ذلك من أشعار الجاهليين والإسلاميين، كقول النابغة:

---

[8] سليك المقانب: من العدائين، واسم أمه سُلَكة (بضم ففتح)، وانظر رواية البيت في الموازنة، ص٨٤، ج١.

وأعظم أحلامًا وأكبر سيِّدًا وأفضل مشفوعًا إليه وشافعُ

وكقول عدي بن الرقاع:

أبت لكم مواطن طيِّبات وأحلام لكم تَزِن الجبالا

وقول الفرزدق:

إنَّا لتُوزَن بالجبال حلومنا ويزيد جاهلنا على الجُهَّال

وقال القاضي الجرجاني عن البيت: «البُرْدُ لا يوصف بالرقة، وإنما يوصف بالصفاقة والدقة، وقد أقام الرقة مقام اللطف والرشاقة في موضع آخر، فقال:

لَكَ قَدٌّ أَرَقُّ مِنْ أن يُحاكَى بقضيب في النعت أو بكثيب[٩]

والقد لا يوصف بالرقة.»

قلنا: أما الذي انتقده أبو هلال فصحيح، وأما قول الجرجاني بأن البُرْد لا يوصف بالرقة فقد نقل التبريزي في شرحه لديوان أبي تمام عن المرزوقي أن الرقة تُستعمل في صفة الفاخر من الثياب وغيره حتى يقال: عندي ثوب أرقُّ من الهواء.

هذا آخر ما كتبه العلامة المحقق المغفور له «أحمد تيمور باشا»، وقد عاجلته المنية قبل استيفاء هذه التعليقات النفيسة، وقد وجدنا مع أصول هذه التعليقات صفحتين كتبهما بخطه أيضًا، تشتملان على نصوص باقي هذه التعليقات التي كان يريد استيفاءها من المراجع التي قرأها، وهي تتمة للقسم السابع الخاص بأوهام الشعراء المولدين،

[٩] في بعض نسخ الديوان: «أدق» بدل أرق، وبه ورد في شرح التبريزي حتى كتب بعضهم على حاشية نسختنا: «قوله: «قد أدق» جاء عفْوًا مما لا يستحيل بالانعكاس.» وعلى هذه الرواية لا خطأ في هذا البيت.

فقد عيَّن اسم الشاعر والبيت الذي وَهِمَ فيه أو أخطأ، واسم الكتاب الذي ورد فيه، ورقم الصفحة، وقد أثبتناها كما وردت في هاتين الصفحتين؛ إتمامًا للفائدة وتعميمًا للنفع، ليستفيد منها العلماء والأدباء في إتمام هذا البحث النفيس، ويتَّخذوا منها مرآة لبحوثهم؛ لأنها تبيِّن كيف كان العلامة المحقق المغفور له «تيمور باشا» يضع عناصر مؤلفاته، وإلى القارئ ما ورد في هاتين الصفحتين:

تتمة الكلام على خطأ أبي تمَّام في المعاني «المواد وأسماء المراجع»[١٠]

نجوم سماء: الموشح، ص٣١٠.

خلق الزمان القوم عاد ظريفًا: استعمله للظرف في غير النطق.
«ينظر في المثل السائر».

حالت عليها الخلاخل: الوساطة، ص٦٦، الصناعتين، ص٩١.

وقبولها ودبورها أثلاثًا: الصناعتين، ص٩٢، وبعده خطأ مثله لأبي المعتصم.

أوهام لأبي تمام في المعاني: الموازنة، ج١، ص١٢–١٦، وانظر ص٥٧–١٥٠، والأولى قراءة الجزء الأول برمته.

البحتري

أوهام له في المعاني: الموازنة ج١، ص١٥٠–١٥٤، وانظر في الصناعتين بيتًا من ذلك في ص٩٦-٩٧، والأولى قراءة الموازنة.

خطأ له، والانتصار له: العمدة، أول ص١٩٢، ج٢.

خطأ له في بيت: الريحانة، ص٩٣.

[١٠] هذه المراجع التي أشار إليها الفقيد العظيم المغفور له العلامة «أحمد تيمور باشا» محفوظة بالخزانة التيمورية التي أُهْدِيَت إلى دار الكتب المصرية.

قف مشوقًا ... أو عذولًا: انظر المثل السائر ص٤٤٤، وشرح الصفدي على لامية العجم ج١، ص١٤٥، ونزول الغيث رقم ٥٣٩، شعر ص٢٣، ورقم ٧٦٥، شعر ص٣٢، وتحكيم العقول رقم ١٠١٧، شعر ص٢٧.

تقسيم له غير صحيح: ابن أبي الحديد على نهج البلاغة ج٢، أواخر ص٢٢٣.

خطؤه في نسبة صفية بالصبر: عبث الوليد آخر ص٧٩.

خطأ له في المعنى: انظر الضياء ج٨، أواخر ص٣٨٦.

المتنبي

غَلَطُه في تشبيه أذن الفرس بأذن الأرنب: اليتيمة ج١ أول ص١٢٤.

الوجه تشبيهه الأذن بالورقة: أمالي القالي ج٢، ص٢٥٢، خزانة ابن حجة ص١٦٤.

بيت فيه التشبيه بالورقة: العقد ج٣، أواخر ص١٥٩، تشوَّفا.

الغَزْل والغَزَل

خطأ الشعراء في التورية بالغَزْل والغَزَل: فض الختام عن التورية والاستخدام للصفدي ص٤٣-٤٤.

أوهام في المعاني لبعض الشعراء: الضياء ج٨، ص٥٤٤، وَهْم لابن بسَّام، وفي آخر ص٥٤٦ بيت للحسن العقيلي عكس فيه المعنى، ومثله لابن زمرك في ص٥٤٧.


هنداوي